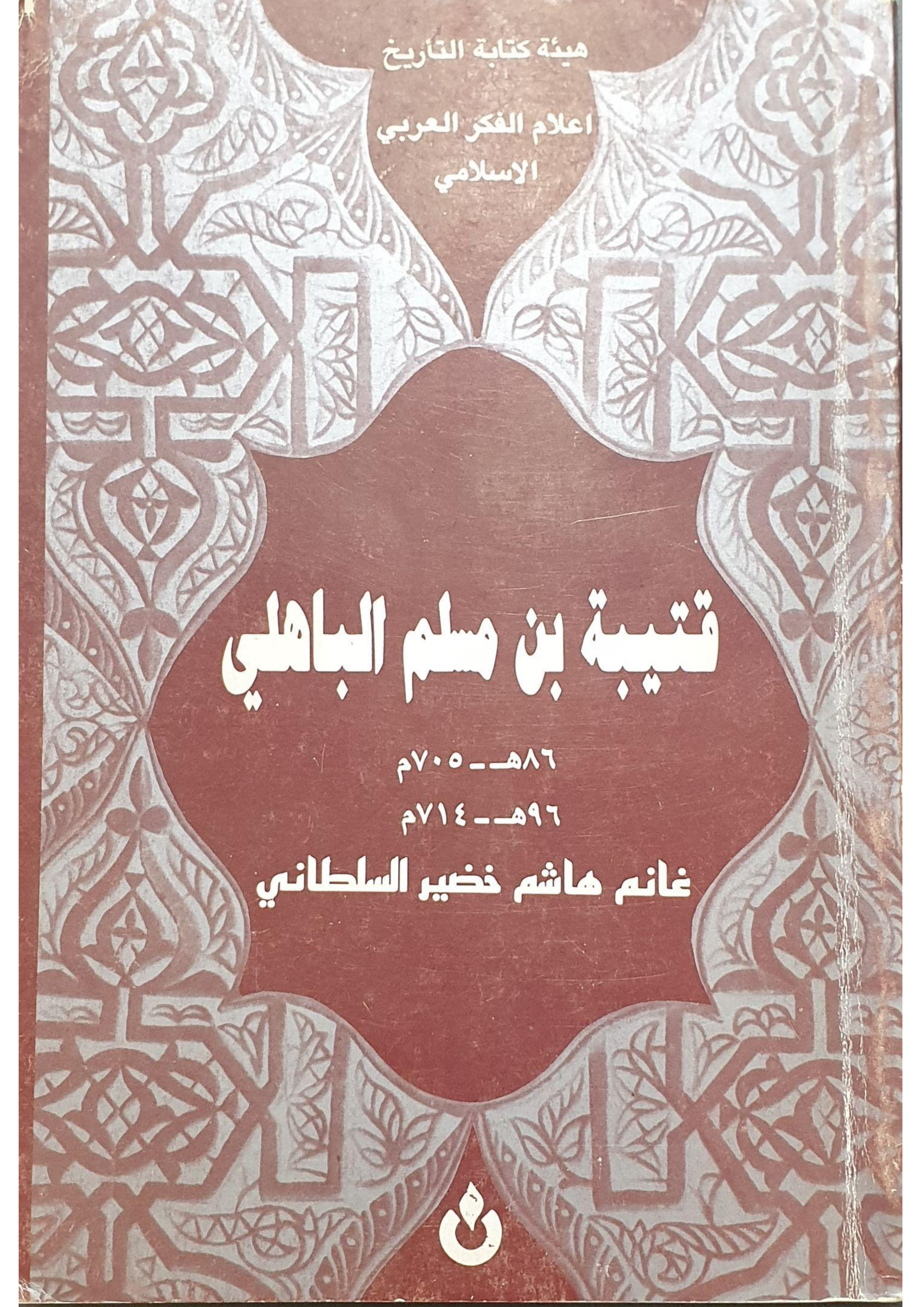

هيئة كتابة التأريخ
اعلام الفكر العربي
الاسلامي
قتيبة بن مسلم الباهلي
٨٦هـ - ٧٠٥م
٩٦هـ - ٧١٤م
غانم هاشم خضير السلطاني





بغداد ١٩٩٠





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

هيئة كتابة التاريخ

اعلام الفكر العربي الاسلامي

قتيبة بن مسلم الباهلي

٨٦ هـ/ ٧٠٥ م/ ٩٦ هـ / ٧١٤ م

تاليـــف

غانم هاشم خضير السلطاني

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٩٠

«المقدمـة»

إن ماتمتاز بـه الأمم الحية عن غيـرها قـدرتها عـلى التجـدد والنمو ، ومـا تمتلكه من مـوروث حضاري وقيم اصيلة ، والأمة العربية أمة قد حباها الله ، وخصها بعناية كبيـرة اذ استطاعت ان تقف بكـل ثبات وحـزم امـام كـل المحاولات الخبيثة والآثمـة وبقيت محتفظة بشخصيتهـا وسماتها الحضارية رغم عاديات الزمن وظروف الدهر .

ومن يطلع على تـاريخ امتنـا العربيـة ، عبر الحقب التـاريخية ، يكشف جـوهـر القيم التي سمت بـابنـائهـا وارتفعت بأنسانيتهم وجعلتهم اعـلاماً بـارزة شامخـة في دروب العز والكرامة ، فانسابوا في مشارق الأرض ومغاربها رسل خير ومحبة ينشرون العدل والمساواة ، ويدعون الى المحبة والأخاء دون أن يبالوا بشيء او يرتـابوا من امـر ، غايتهم نشر العقيدة الحقة ، وترسيخ الأيمان الصـادق ، فكانوا جنود عقيدة ثورية وحفظة تعاليم رسالة كريمـة ، انتصـروا للحق في زمن شـاع فيـه الشر وسـاد الطغيـان والفجور .

ان المتتبـع لمسيرة الامـة يجد مجمـوعة من القـادة العظام البارزين امثال خالد بن الوليد وعمرو بن العـاص وسعد بن ابي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني والنعمان

بن مقرن المزني ، وغيرهم هؤلاء كانوا النور الساطع الذي اضاء الطريق امام قادة آخرين .

ويعد قتيبة بن مسلم الباهلي واحداً من أولئك الأبناء البررة والقادة المتميزين الذي كان له شرف قيادة الطلائع العربية المقاتلة والذود عن حياض البنـاء الشامـخ الذي شاده العرب المسلمون وعمّدوه بالبطولة والتضحية . هذا القـائد الشجـاع والبطل الهمـام الذي كان له دور مهم في احداث تاريخنا العربي الأسلامي ، فقد عرف قتيبة مقاتلاً باسلاً ، وقائداً عسكرياً فذاً ، تمكن بشجاعته ونفاذ بصيرته فتح مدن خراسان وماوراء النهر ، ولاشك في أن هذا الجهد العسكري قد مكن الجيـوش العربيـة من دخول الأجـزاء الغربية من الصين ، على يد هذا القائد الشجاع .

ومن منجزاته العظيمة فتح مدن طخارستان ، وتثبيت السيادة العربية فيهـا ، وعبور نهر جيحـون وفتح المدن الواقعـة خلفه مثـل (آخرون) و (شومان) ، (وبيكند) ، و (كش ونسف) ، (وبخارى) ، (وسمرقند) ، (وفرغانة والشاش) . كل هذه الانجازات العظيمة قد تحققت بفتـرة زمنية قصيـرة ، رغم قساوة بيئـة هذا الأقليم وظـروفه المناخية الصعبة .

لقد تمكن قتيبية من تحرير شعوب هذا الأقليم ، وانقذهـم من بـراثن الظلم والعبـودية ، والأستغـلال ، ونشر الحـرية والمسـاواة ، والعدالة بينهم ، فلمست هذه الشعوب قيمة المبادىء التي كان العرب يعملون من اجل احقاقها ويقدمون التضحيات في سبيلها .

ويـأتي في مقـدمـة الأسبـاب التي ادت بي الى البحث في هـذه الشخصية ، هي ابراز مآثر العرب وعزهم ومجدهم وجهودهم في انقاذ الكثير من شعوب العالم دون ان يبالوا بجهد أو مشقة أو عناء .

الفصل الأول

قتيبة بن مسلم الباهلي

اسمه ونسبه

اولاده واحفاده

منازل باهلة

علاقة باهلة بالدولة العربية زمن الأمويين

دور قتيبة في الأحداث قبل ولايته وخراسان



قتيبة بن مسلم الباهلي[1]

قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2] .

وباهلة امرأة تكفلت بحضانة أولاد معن بن مالك . ولذلك لقبت القبيلة (بباهلة) . ويكنى قتيبة أبا حفص[3] .

ولد قتيبة بن مسلم في البصرة سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ م ، واحتل مسلم بن عمرو أبو قتيبة مكانة رفيعة وقدراً كبيرا لدى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية . وكان مسلم بن عمرو يكنى بابي صالح . وقد عمل في تجارة الجمال والخيول . وشارك في الكثير من الأحداث السياسية [4] التي واجهت الأموين في عهد معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد ، وفي عهد عبد الملك بن مروان ، وقد قتل مسلم بن عمرو في معركة مسكن سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م[5] .

اولاه واحفاده :

لقتيبة بن مسلم بن عمرو أولاد وأحفاد ، أدوا دوراً فاعلاً في الأحداث السياسية الخطيرة في الدولة العربية زمن الأمويين والعباسيين وانجبت هذه الأسرة الكثير من العلماء في شتى ميادين العلم والمعرفة ، منهم الآديب والمحدث مسلم بن قتيبة[6] ، والرواي الحجاج بن قتيبة ،[7] يوسف بن قتيبة ، وكان سعيد بن مسلم بن قتيبة عالماً بالحديث والعربية فضلاً عن براعتهم في الجوانب الآدارية والعسكرية .

يعد قتيبة بن مسلم من اشهر بناة مجد هذه الأسرة وشهرتها ،

وبخاصة في الجانب العسكري ، اما الجانب الفكري فقد انجبت هذه الاسرة رجالاً مبدعين ، لايقلون شاناً عن الجوانب العسكرية والادارية ، فأبناء قتيبة ، مسلم ، وقطن وكثير ، والحجاج ، وعبد الرحمن ، وسلمان ، وصالح ، ويوسف وعمر(٨) .

منازل باهلة :

سكنت باهلة قبل الاسلام اليمامة وفي بقعة غنية بالمعادن المهمة والثمينة مثل الفضة والذهب والنحاس(٩) . وعرفت هذه البقعة بخصوبة أراضيها ، وكثرة المراعي وعيون الماء . ومن منازلها منطقة تسمى سواد باهلة(١٠) .

وخلال حروب التحرير سكن ابناء هذه القبيلة اماكن عدة منها البصرة، وكال آل الباهلي مِنْ البيوتات الأربعة المعروفة في هذه المدينة .(١١)
واستقر قسم آخر بالكوفة ، ونزل بعضهم منطقة الجزيرة وآخرون في بلاد الشام .(١٢)

علاقة باهلة بالدولة العربية زمن الأمويين :

تعد باهلة احدى القبائل العربية التي أبدت مواقف ايجابية تجاه الأمويين ، فنراها مرة تتخذ جانب الحياد(١٣) ازاء حركات المعارضة للأمويين ومرات اخرى تؤيد وتدافع عن الأمويين ، وعلى العموم يمكن اعتبار موقف باهلة مؤيداً للأمويين .

فقد ابدتْ اسرة قتيبة تأييدها للدولة الأموية منذ نشأتها ، حيث نضم مسلم بن عمرو الى جانب معاوية بن ابي سفيان على الرغم من خروج الخطيم(١٤) ، مع سهم بن غالب الهجيمي الخارجي ، في ولاية عبد الله بن عامر للبصرة سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م ، تمكن ابن عامر

منها ، بعد ان قاتلهم فهرب قسم منهم ، وعرض على القسم الآخر الأمان فقبلوا به .

وفي الجفرة[١٥] سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨م ، يذكر المدائني وابو عبيدة ، انه عندما توجه الخليفة عبد الملك بن مروان نحو العراق ، وكان في معيته أسيد ، أخبر الأخير الخليفة بان يرسله الى البصرة ليطرد واليهامن قبل عبد الله بن الزبير ، حيث نزل خالد بن أسيد عند علي بن أصمع الباهلي ، الا ان ابن أصمع اخبر خالداً بعدم استطاعته توفير الحماية اللازمة له . ويبدو ان سبب ذلك يعود الى قلة عدد قبيلة باهلة[١٦] . واشار عليه بالنزول عند مالك بن مسمع بن شهاب الذي بمقدوره ان يوفر الحماية له .

ان سبب اختيار خالد بن اسيد ، أحد أشراف باهلة هوولاء هذه القبيلة للأمويين .

دور قتيبة في الأحداث قبل ولايته للري :

برز دور قتيبة في الأحداث السياسية زمن الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٥ هـ / ٦٩٤ م ، عندما خرج الحجاج والي العراق آنذاك من الكوفة الى البصرة داعياً الناس الألتحالق بجيش المهلب بن ابي صفرة[١٧] لقتال الخوارج ، ومحاسبة الذين لم ينفذوا أوامر الألتحاق بجيش المهلب ، فضلاً عن نشر الأمن .

فقد القى الحجاج بن يوسف الثقفي خطبة اسقط فيها الزيادة التي فرضها مصعب لأهل البصرة[١٨] ، لذلك عارضه بعض اهل البصرة ، منهم عبد الله بن الجارود ، الذي تزعم الحركة وانضم اليه الكثير من رجال القبائل ، مما ادى بالحجاج ان يضع حرساً لحماية بيت

المال والحفاظ عليه[١٩] .

ولما اتم اتباع ابن الجارود استعداداتهم ، شرعوا بحركهتم عام ٧٦ هـ / ٦٩٥م . وعندما زحفوا على الحجاج ، لم يكن معه الا عدداً قليلاً من المقاتلين فهجموا على فسطاط الحجاج ، الا انهم لم يقتلوه[٢٠] .

وفي اليوم الثاني تغير الموقف تماماً فقد انضم الى جانب الحجاج كل من عباد بن الحصين الحبطي ومعه مائة مقاتل من اتباعه ، وكذلك انضم قتيبة بن مسلم الباهلي ومعه ثلاثون مقاتلاً من قومه . فضلاً عن بعض المقاتلين من قبيلتي الأزد وبكر بن وائل ، الذين انضموا الى جانبه ، ونتيجة لهذا فقد استعد الحجاج لملاقاة ابن الجارود واتباعه مرة ثانية ، اصطدم الفريقان في معركة حيث قتل عبد الله بن الجارود ، مما ادى الى انهيار عزيمة اتباعه ، فكانت هزيمتهم من ميدان المعركة[٢١] . وبذلك حقق الحجاج نصراً حاسماً عليهم ، وقد ترك موقف قتيبة هذا اثراً في نفس الحجاج فيما بعد .

كما ابدى قتيبة موقفاً آخر يؤكد فيه تأييده للأمويين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقد شارك في تصديه مع الحجاج لشبيب بن يزيد الخارجي ، عندما اعلن تمرده في الجزيرة الفراتية سنة ٧٦ هـ / ٦٩٦ م[٢٢] ، وقد قتل الكثير من المسلمين كما انه فتك بأمراء الحجاج .

عقد الحجاج مجلساً دعا اليه امراءه وقواده للتشاور في أمر شبيب وسمح الحجاج في الكلام وابداء الرأي فقال قتيبة : «ان الأمير والله ماراقب الله ، ولاحفظ امير المؤمنين ، ولانصح للرعية»[٢٣] . فغضب الحجاج من كلام قتيبة ، ومع ذلك فقد أعاد قتيبة الكلام ثانية ، وطلب الحجاج من قتيبة ان يوضح له سبب هزيمة اتباعه ، فأجابه قتيبة : ان

سبب ذلك وجود عدد من الموالي ضمن الجيش ، وهؤلاء سرعان مايهربون عند احتدام المعركة ، مما يؤثر على معنويات المقاتلين الآخرين ، وبالتالي هزيمة الجند ومقتل قائده لثباته في أرض المعركة[٢٤] .

وكان من رأي قتيبة ان يخرج الحجاج بنفسه مع امرائه وقادته لقتال شبيب الخارجي ، ووافق الحجاج على هذا الرأي ، وأمر قتيبة بالخروج بحثاً عن معسكر يتم اللقاء فيه مع شبيب الخارجي ، ففعل ذلك قتيبة واختار موقع السبخة[٢٥] ، لملائمته ، واعلم الحجاج بذلك ، وفضلاً عن ذلك فقد جعل الحجاج لقتيبة لواء منشورا ، وتبعه الحجاج بذلك ، واتبع طريق السقاية ومنها الى السبخة ، التي اتخذها معسكراً للجيش[٢٦] ، بعد استطلاع هذه المنطقة من قبل ، وبعد تكامل جيش الحجاج ، بدأت المعركة والتحم الجيشان ، واستمرت المعركة لمدة يومين ، وبعد قتال ضارٍ انهزم شبيب واتباعه سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦ م[٢٧] .

وبذلك تكون هذه المعركة اول اختبار اثبت فيه قتيبة قدرته العسكرية وشجاعته وجلده ومعرفته بفنون الحرب ، فتوسم فيه الحجاج كل الخير ، وغدت لقتيبة منزلة عظيمة في نفسه .

ومن المواقف الأخرى التي اثبت فيها قتيبة تأييده للأمويين ، موقفه من تمرد عبد الرحمن بن الأشعت في سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م[٢٨] ، فبعد مقتل جبلة بن زحر في معركة دير الجماجم[٢٩] ، ومجيء بسطام بن مقصلة بن هبيرة الشيباني[٣٠] ، من الري التقى بقتيبة وهو في طريقه الى الري والياً عليها ، وقد دعا كل منهما الآخر الأنضمام الى صاحبه - عبد الرحمن بن الاشعث بالنسبة الى بسطام ، والحجاج بالنسبة لقتيبة - فرفض كلاً طلب الآخر[٣١] .

وبذلك يتضح لنا الدور الكبير الذي أداه قتيبة في الأحداث التي شهدتها الدولة العربية خلال فترة خلافة عبد الملك بن مروان .

الهوامش الفصل الأول

(١) باهلة : من القبائل العربية التي يرجع نسبها الى اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهذا ما اتفق عليه اهل النسب انظر : ابن الكلبي ، هشام بن محمد ، جهرة النسب ، ورقة ١٨٤ أ . ، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، المعارف ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، (القاهرة ، ١٩٦٠) . ، المبرد ، نسب عدنان وقحطان ، ص ١٠ ، (القاهرة - ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م) . ابن دريد ، محمد بن الحسن ، الاشتقاق ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٧١ ، (القاهرة - ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م) . ، ابن حزم ، علي بن سعيد ، جهرة انساب العرب ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ . ، (مصر - ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٨ م) .

(٢) قد ذكر ابن حزم والسمعاني ، وابن الاثير ، وابن خلكان ، نسب قتيبة مختلفاً عما جاء به ابن الكلبي ، وذكروا : قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن اس. . الخير بن قضاعي . انظر :
ابن حزم ، جهرة ، ص ٢٣٤ . ، السمعاني ، عبد الكريم بن محمد ، الأنساب . حـ ٢ ، ص ٧١ . ، (الهند - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) . ، ابن الاثير ، علي بن محمد ، اللباب في تهذيب الانساب ، حـ ١ ، ص ٩٣ ، (القاهرة - ١٣٥٧ هـ) . ، ابن خلكان ، احمد بن محمد ، وفيات الاعيان ، حـ ٤ ، ص ٨٦ ، (بيروت - بلا) .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٠٦ . ، ابن نباتة ، سرح العيون ، ص ١٨٦ ، (القاهرة - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م) . ، يجعل ابن نباتة كنية قتيبة ابا صالح ، وهذه الكنية لابيه وليست له .

(٤) عن مشاركته في هذه الاحداث انظر :
البلاذري ، انساب ، ق ٢ حـ ٤ ، ص ١٧٤ ، حـ ٥ ، ص ٢٨٧ . ق١ حـ ١ ، ص ١٥٣ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٢ ، ص ٢٢٨ . ، المسعودي ، مروج الذهب ، حـ ٣ ، ص ١١٦ . ، مؤلف مجهول ، تاريخ ، حـ١١ ، ص ٨ .

(٥) ابن بكار ، الزبير ، الاخبار الموفقيات ، ص ٥٣٢ ، (بغداد ـ لا . ت) . البلاذري ، انساب الاشراف ، حـ ٥ ، ص ٣٤١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، حـ ٣ ، ص ٧٧ ، الذهبي ، تاريخ ، حـ ٤ ، ص ٤٥ . ، ابن خلدون العبر ، طـ ١ ، ص ٧٧ ، (بيروت ـ ١٩٧٧ م) .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، حـ٧ ، ص ٣٢ . ، البلاذري ، انساب ، ورقة ١٧١ أ . ، ابن حجر ، تهذيب ، جـ ١ ، ص ١٣٤ . ، عطية الله ، احمد ، القاموس الأسلامي ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ .

(٧) السمعاني ، الأنساب ، حـ ٢ ، ص ٧١ .

(٨) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٠٧ . ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٢٣٤ . ، السمعاني الأنساب ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(٩) الهمداني ، صفة ، ص ١٥٤ .

(١٠) مواد باهلة : منطقة تقع في اليمامة اوله الحاضر من الشمال ماء وبينه وبين المغرب البرم وتضم هذه المنطقة الكثير من القرى الزراعية والجبال . انظر : الهمداني ، صفة ، ص ١٤٧ ـ ١٤٩ الأصفهاني ، بلاد ، ص ٢٣٥ . ، ابن خميس ، المجاز ، ص ٩٢ .

(١١) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٩٠ ، (ليدن ـ ١٨٨٥ م) . والبيوتات الثلاثة الاخرى هي : بيت بني المهلب ، وبيت بني مسمع من بكر بن وائل ، وبيت آل الجارود من عبد القيس ، انظر : ن . م . ص ١٩٠ .

(١٢) الطبري ، تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٥١٩ . ، ويشير ابن حزم الى ان قسماً من باهلة استقر في الاندلس في مطبعة جيان وطليطلة ووادي الحجارة ، انظر :
ابن حزم ، جمهرة ، ص ٢٣٥ . ، طه ، عبد الواحد ذنون ، الفتح والاستقرار العربي والاسلامي في شمال افريقيا والأندلس ، ص ٢٦٠ ، (بغداد ـ ١٩٨٤ م) .

(١٣) فلهوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٥٢ ، طـ ٢ ، (القاهرة ـ

١٩٦٨ م) .

(١٤)هو يزيد بن مالك ، احد بني وائل الباهلي ، وقد سمي بالخطيم لضربة قد ضرب بها على وجهه : انظر : البلاذري ، انساب ، ق ٢ حـ ٤ ، ص ١٤٧ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٥ ، ص ٢٨٨ . البياسي ، جمال الدين بن يونس ، الاعلام بالحروب في صدر الاسلام ، ورقة ٥٩ ب ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٣ ، ص ٤١٧ .

(١٥) الجفره : بالضم آخرها هاء ، وهي سعة في الأرض مستديرة وهي موضع بالبصرة وسميت جفره خالد . انظر : الكبري ، معجم ، حـ ١ ، ص ٣٨٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٩٣ . ، البغدادي ، عبد المؤمن بن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، حـ ١ ، ص ٣٣٨ ، (بيروت - ١٩٥٥ .

(١٦) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٣٠٧ .

(١٧) الطبري ! تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٦١ .

(١٨) البلاذري ، انساب ، حـ ٥ ، ص ٢٧١ ، ص ٢٨٠ . ، ن . م حـ ١١ ، ص ٢٨٠ . الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢١١ .

(١٩) البلاذري ، انساب ، ح ١١ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٢٨٢ .

(٢٠) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٣٨٣ . ، ابن خلدون : ق ١ حـ ٣ ، ص ٩٥ .

(٢١) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٢٧٤ . ، البلاذري ، انساب : حـ ٦ ، ورقة ٣٩ ب ، اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٢٠ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٢٣ .

(٢٢) البلاذري ، انساب ، حـ ٦ ، ورقة ٤١ أ . ، اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٢٠ .

(٢٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٧٢ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٤٢٩ .

(٢٤) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٧٣ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٤٢٩ .

(٢٥) السبخة : بالتحريك واحدة السباخ الأرض الملح المفازة ، وهي موضع بالعراق في الكوفة والبصرة ، وهي ايضاً موضع في المدينة بين موضع الخندق وبين سلع .

انظر : البكري ، معجم ما استعجم ، حـ ٣ ، ص ٧١٧ . ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص ٣٠ الحميري ، روض العطار ، ص ٣٠٤ .

(٢٦) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٧٣ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٤٢٩ .

(٢٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٧٣ . ، المسعودي ، مروج ، حـ ٣ ، ص ١٤٧ .

(٢٨) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٢٨٠ - ٢٩٠ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٢٨ - ٣٥٠ . ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ . ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٢٣ - ٢٢٧ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٤٥٤ - ٤٨٧ .

(٢٩) دير الجماجم : موضع مما يلي الكوفة وعلى بعد سبعة فراسخ منها على طرفي البر للسالك الى البصرة . وقد اختار عبد الرحمن بن الاشعث هذا الموضع مكاناً لجيشه .
انظر : الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٥٩ . ، البكري ، معجم ما استعجم ، حـ ٢ ، ص ٥٩٣ . ، ياقوت معجم البلدان ، حـ ٢ ، ص ٥٠٣ .

(٣٠) بسطام بن مفصلة بن هبيرة الشيباني : امير من الولاة الشجعان وأحد قادة عبد الرحمن ابن الاشعث عند تمرد الاخير على الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان على الري ، وقد وفد على ابن الاشعث منجداً له ، وقتل في وقعة مسكن ٨٢ هـ / ٧٠١ م . انظر : الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٥٩ . ، ابن الاثير ، الكامل ، ص ٤ ، ص ٤٧٩ .

(٣١) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٥٩ .

الفصل الثاني

اجراءات قتيبة ... الأدارية والمالية

ولايته على الري (٨٢ هـ / ٧٠١ م)

ولايته على خراسان (٨٦ هـ / ٧٠٥ م)

الأجراءات الأدارية

تعيين العمال

صاحب الشرطة

تعيين القضاة

جهود قتيبة في اسكان العرب

تنظيم القبائل العربية في خراسان

علاقة قتيبة بولاية العراق والخلافة

ولايته على الري (٨٢هـ/٧٠١م)

عين قتيبة بن مسلم والياً على الري[١] ، في الفترة التي واجه الحجاج فيها تمرد عبد الرحمن بن الاشعث .

ولعل اختيار قتيبة والياً على الري ، تقديراً لمواقفه السابقة ، تلك المواقف المتسمة بالدعم ومساندته للحجاج بن يوسف الثقفي ، اثناء تمرد عبد الله بن الجارود في البصرة سنة ٧٥ هـ / ٦٩٤ م ، فضلاً عن ان منطقة الري واجهت اضطرابات سياسية في تلك الفترة ، تمثلت في تمرد عمر بن ابي الصلت[٢] ، الذي انضمت اليه الفلول المتبقية من اتباع عبد الرحمن بن الأشعث ، عقب هزيمتهم في دير الجماجم ، وخلعهم الحجاج . لذلك خرج قتيبة من العراق قاصداً الري لمواجهة هذا التمرد . وفي الطريق التقى ببسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني الذي كان قادماً من الري ، فدعا كل منهما الآخر بالأنضمام اليه ، الا انهما لم يوفقا فيما ذهبا اليه[٣] .

وعند اقتراب قتيبة من الري اتخذ الأجراءات اللازمة لمواجهة المتمردين الستحوذين على المدينة ، بعد أن بايعوا عمر بن الصلت على خلع قتيبة ومواجهة جيشه ، لعلهم بذلك يثأرون لهزيمتهم القاسية في معركة دير الجماجم . وبعد احتدام المعركة بين الطرفين ، مني عمر بن ابي الصلت واتباعه بهزيمة كبيرة ، والتجاوا الى سجستان[٤] ، حيث دخلوا في حماية اصبهيذ سجستان[٥] .

ان انهاء حالة التمرد بهذه السرعة من قبل الحجاج ، يمكن تفسيره خشية الحجاج من أن تتخذ منطقة الري قاعدة للمتمردين يمدون منها ابن الأشعث بالنجدات ، مما يؤدي الى تقوية شوكته ، فضلاً عن الخشية من توسع التمرد وامتداده الى المناطق المجاورة اذا ما أبطأ الحجاج في القضاء عليه .

بعد استقراره فيها اتخذ قتيبة من الري منطقة ارتكاز يتم من خلالها فتح المدن المجاورة . كما قام بأجراءات اقرار الأمن والنظام في الولاية[٦] .

ولايته على خراسان (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) :

لقد زخر عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، بقادة اكفاء في طليعتهم قتيبة بن مسلم الباهلي . الذي ولي خراسان للحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق والمشرق ، وذلك في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م . بعد ان اثبت مقدرة متميزة خلال ولايته للري عام ٨٢ هـ / ٧٠١ م ، فضلاً عن موقفه الحازم الى جانب الحجاج اثناء تمرد عبد الله بن الجارود ، وتصديه لشبيب بن يزيد الخارجي .

يذكر الطبري خبر ولاية قتيبة لخراسان ضمن احداث سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م وذلك اثناء حديثه عن طلب الحجاج من الخليفة عبد الملك بم مروان عزل يزيد بن المهلب عن ولاية خراسان وتولية قتيبة بن مسلم محله .

غير ان الحجاج وتبعاً لما تذكر الرواية عين المفضل بن المهلب بدلاً من يزيد وكانه اراد بذلك ، استدراجه في المجيء الى واسط ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى امتصاصاً للنقمة التي قد تحدث بين رجال الأزد قبيلة يزيد بن المهلب بسبب هذا الأجراء[٧] .

لم يلبث الحجاج ان عزل المفضل ونصبَّ قتيبة بن مسلم اميراً على خراسان[٨] . ويشير ابن اعثم الى ان ولاية قتيبة على خراسان كانت في أواخر عهد عبد الملك بن مروان اي في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م .

وهناك مجموعة من المصادر تذكر سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م تاريخاً

لهذا المنصب . من خلال ماتقدم تبدو رواية الطبري اكثر موضوعية ، وذلك لأن عزل يزيد بن المهلب حدث عام ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ونصب محله المفضل بن المهلب الذي شغل موقعه لمدة تسعة أشهر حسب رواية الطبري . وبعدها تم تنصيب قتيبة واليا على خراسان وبالتحديد في اواخر سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م واوائل ٨٦ هـ / ٧٠٥ م .

اجراءات قتيبة الأدارية :

بعد ان نصب قتيبة والياً على خراسان ، قام بعدة اجراءات في مختلف مناحي الحياة ، الغرض منها تحقيق استقرار اكثر لهذه الولاية وتتمثل هذه الأجراءات بما يلي :

تعيين العمال :

ذكرت المصادر بعض العمال الذين تم تعيينهم من قبل قتيبة على المدن التابعة لهذا الأقليم او بلاد ماوراء النهر الا ان هذه المصادر لاتعطي اية معلومات وافية عن نشاطاتهم .

في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م تمكن قتيبة من تحرير الطالقان(٩) وتعيين عمرو بن مسلم عاملاً عليها بجانب حاكمها المحلي وعين أياس بن عبد الله بن عمرو قائداً على حامية المدينة ، وعلى الخراج عثمان بن السعدي لكي يتسلم واردات بيت المال من الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية وغيرها من الضرائب الأخرى ، واستطاع قتيبة تحرير عدة مدن اثناء رجوعه الى مرو(١٠) ، ونصب اخاه . (صالح بن مسلم ، قائداً للجيش وعندما وصل صالح مرو ، عينه قتيبة والياً على الترمذ(١١) ، وفي عام ٨٧ هـ / ٧٠٥ م وبعد ان نجح في فتح مدينة

بيكند ، عين ورقاء بن نصر الباهلي والياً عليها .

ومن حسن سياسته الأدارية الأستفادة من الخدمات التي يقدمها بعض السكان المحلين في التفاوض مع امراء وملوك الترك والصفد . فقد استثمر خدمات سليم الناصح في اقناع نيزك ، بعد أن اعلن تمرده على السلطة ، حيث اعتصم في احد الشعاب ، وقد تكللت جهود سليم الناصح بالنجاح[١٢] .

وعندما توجه قتيبة لفتح مدينة بخارى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م فقد عين على مرو عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . وفي هذه السنة ايضاً ـ ٩٠ هـ / ٧٠٨ م . حدث تمرد نيزك اذ بعد مفارقته لقتيبة توجه الى مدينة النوبهار وكان عاملها المغيرة بن عبد الله ، الذي بذل جهداً كبيراً في طلب نيزك الا انه لم يظفر به[١٣] . وكان قتيبة قد عين محمد بن سليم الناصح عاملاً على طخارستان ولكن بعد وصول نيزك الى هذه المدينة تمكن من طرده .

وفي اثناء مطاردة نيزك عين قتيبة اخاه حماد بن مسلم قائداً لحماية مدينة مرو ، وعبد الله بن الأهتم على خراجها ولم تقدم المصادر اية معلومات عن اجراءاتها الادارية والأقتصادية .

استطاع قتيبة من فض الحلف الذي دعا اليه نيزك مع ملوك الطالقان والفارياب[١٤] ، والجوزجان[١٥] ، وبلخ[١٦] ، ومرو الروذ[١٧] ، وبعد ان أذعنت هذه المدن جميعها ، عين أخاه عمر بن مسلم عاملاً على الطالقان وعين احد افراد قبيلته عاملاً على الفارياب . ونصب عامر بن مالك الحماني عاملاً على مدينة الجوزجان ، وعند رجوعه استعمل اخاه عبد الرحمن بن مسلم على بلخ .

وعندما تمرد ملك الشومان سنة ٩١ هـ / ٧٠٩ م ، استدعى

قتيبة اخاه عبد الرحمن من بلخ وطلب منه القضاء على هذا التمرد ، وعين على ولاية بلخ اخاه عمر بن مسلم[١٨] .

وفي سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م توجه قتيبة الى سجستان لفتحها الا انه عقد صلحاً مع ملكها رتبيل ، وولى عليها عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي[١٩] عاملاً عليها بجانب رتبيل . في سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م سار الى خوارزم ، وقد خلف على مرو ثابت الأعور احد موالي مسلم . وتم الصلح بين قتيبة وملك خوارزم وعين على المدينة اخاه عبد الله بن مسلم والياً عليها بجانب حاكمها المحلي .

في سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م حقق قتيبة نصراً كبيراً ومؤزراً على غوزك ملك سمرقند ، وتم توقيع معاهدة صلح بينهما وقد عين قتيبة اخاه عبد الله بن مسلم عاملاً على سمرقند بجانب غوزك[٢٠] .

القضاء :

يعد منصب القضاء من المناصب المرموقة والمهمة ، التي شغلت بال الولاة ، ومنهم قتيبة ، لذلك أولو أهتماماً خاصاً في اختيار القاضي ، منها أن يكون الوالي على معرفة مسبقة بالشخص الذي يسند اليه منصب القضاء . فضلاً عن شروط اساسية يجب توفرها في القاضي ، كرجاحة العقل ، وكونه حراً ، مسلماً ، عادلاً ، سليم السمع والبصر ، عالماً بالأحكام الشرعية[٢١] ، وكان القاضي مستقلاً في عهد بني امية[٢٢] ، وتعيين القضاة أما يكون من قبل الخليفة أو امير العراق والمشرق الحجاج بن يوسف الثقفي ، أو من قبل أمير خراسان .

جهود قتيبة في اسكان العرب :

لقد اولى قتيبة اهتماماً كبيراً لأسكان العرب في خراسان وبلاد وماوراء النهر ، واعطاها بعداً استراتيجياً لمردوداتها التعبوية في عمليات الفتوح ، ولذلك اتخذ الأجراءات الفاعلة والجريئة في عملية اسكان العرب في المناطق التي تم فتحها في خراسان وبلاد ماوراء النهر ، وقد اتخذت اشكالاً متعددة ، وأساليب مختلفة تساعد في ارساء دعائم الأسلام . ووجد قتيبة انه من الأسلم اسكان العرب في المدن المحررة وجعلها قواعد عسكرية تمده بالأمدادات اللازمة اثناء تقدمه نحو الشرق ، لبعد القطعات العسكرية في هذه المناطق عن مراكز امدادها الرئيسية في الحواضر الاسلامية الأولى ، من ناحية ومن ناحية اخرى الظروف الطبيعية السائدة في هذا الأقليم والتي تتحكم في بدء العمليات العسكرية في ملاقاة الأعداء ، حيث لاتسمح بالتقدم الا في فترة الربيع[25] والصيف ، وما عداها ، تعود القطعات العسكرية الى مرو ، وعليه فقد تطلب الأمر من قتيبة ان يقوم باسكان العرب في المدن التي حررها سابقاً .

فضلاً عن هذا فان عملية اسكان العرب في خراسان ومدد ماوراء النهر ، من قبل قتيبة ، كانت اللبنة الأساسية في بناء الحركة الفكرية العربية في هذه البلاد ، ونبوغ العلماء والفقهاء والأدباء العرب لما تهيأ لهم من اسباب الأستقرار والهدوء ، حيث اندفع الناس الى البحث في العلوم كافة ، والى جانب ذلك استقر كثير من علماء العرب من القضاة والأدباء والفقهاء والشعراء[26] ، الذين كان لهم الأثر البالغ في تقدم حركة التأليف والأبداع في شتى صنوف المعرفة ، مما هيأ الفرصة

للناس من غير العرب ، الأختلاط والتأثر بهم وتعلم اللغة العربية ، فضلاً عن اندفاعهم الى الدرس والتعلم والتبصر في الدين الاسلامي ، وتعد هذه الحركة نواة للأمتداد الحضاري العربي الأسلامي الذي ترك آثاره حتى عصرنا هذا .

وقد حظيت مسألة اسكان العرب في خراسان باهتمام عدد من المؤرخين المحدثين فقد بحث فلهوزن[٢٧] ، والدكتور صالح احمد العلي[٢٨] هذه الناحية .

من المعروف ان خراسان قد فتحت على يد القائد العربي عبد الله بن عامر في خلافة عثمان بن عفان (رض) ، بعد ان صير خراسان ارباعاً وترك فيها حاميات ، الا ان اسكان العرب جرى بعد ذلك[٢٩] ، حيث يعد امير بن احمد «أول من اسكن العرب مرو» كما يروي البلاذري[٣٠] . وتتابعت بعض الهجرات العربية الى خراسان ، وفي عهد زياد بن ابيه نقل خمسين الف مقاتل مع عيالاتهم الى خراسان[٣١] ، واستمرت الهجرة ولم تتوقف .

وقد ذكر محمد عبد الحي شعبان نقلاً عن الطبري ، ان قتيبة لم يصطحب معه اية قوات عسكرية جديدة من العراق[٣٢] ، ومن خلال دراسة النص الذي اشار اليه الباحث ، اتضح ان الطبري لم يأت بالرواية بهذا الشكل والمضمون وانما قال «وفي هذه السنة - (٨٦ هـ) - قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج . . . عن سليمان بن كثير العمي ، قال : اخبرني عمي قال : رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ست وثمانين ، فقدم والمفضل يعرض الجند»[٣٣] .

ونستطيع ان نستقصي من كتاب الفتوح لابن اعثم معلومات مفيدة حول قدوم قتيبة الى خراسان ، وهل اصطحب معه جيشاً أم لا ؟ ، اذ ان ابن اعثم ينفرد برواية يقول فيها : «ثم تجهز يزيد بن المهلب وخرج من بلاد خراسان . . . وسار يريد العراق حتى صار الى الري ونزلها ، فقدم اخوه المفضل الى خراسان . قال : وبلغ الحجاج ان يزيد بن المهلب قد صار (فدعا قتيبة) فعقد له وضم اليه جيشاً وولاه خراسان»[٣٤] .

ويتضح من النص ان قتيبة اصطحب جيشاً معه وهو قادم الى خراسان وقد اسكن قتيبة هذا الجيش بصورة موقتة لحين استكمال جميع الأستعدادات اللازمة للبدء بعمليات الفتوح العربية لمدن خراسان وماوراءالنهر ، فضلاً عن الجند المتواجد في مرو .

وأول اشارة عن اسكان العرب في خراسان في عهد قتيبة جاءت عند النرشخي ، وخصوصاً في مدينة بخارى ، التي تم فتحها سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م[٣٥] ، وهي الحملة الرابعة على المدينة .

فقد ذكر النرشخي ان قتيبة اسكن العرب الى جانب سكان بخارى وكان[٣٦] لهذا الأجراء عوامل عديدة منها زيادة الروابط بين العرب المسلمين والسكان المحليين[٣٧] . واطلع اهل هذه البلاد على احوال العرب ، وطبائعهم واخلاقهم وعاداتهم ، وحسن معاملتهم . والاطلاع على مبادىء الاسلام وجوهره من حملة راية الاسلام . كما كان لهذا العمل دور كبير في القضاء على الشرك والمجوسية .

وقد قسم قتيبة بخارى بين القبائل العربية ، فما بين باب العطارين وباب نون ، كانت لربيعة ، وقبائل مضر ، وما تبقى من المدينة فقد اسكن أهل اليمن[٣٨] . وفي الجهة اليسرى للمدينة تأتي محلة

تسمى (الفتاك) وقد بنى العرب المسلمون في هذه المحلة مسجداً يقال له «مسجد بني حنظلة . [٣٩]

وللمدينة سبعة ابواب ، وعند مدخل الباب السابع يوجد مسجد القريشيين[٤٠] . وفي سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م تمكن قتيبة من فتح مدينة سمرقند بعد قتال عنيف فقد اسكن فيها اربعة آلاف مقاتل من العرب المسلمين[٤١] وعين عبد الله بن مسلم الباهلي والياً عليهـا وترك معـه جنداً كثيراً . ومن الذين تم اسكانهم في سمرقند الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير[٤٢] .

وكان اغلب الذين سكنوا سمرقند من القبائل اليمانية[٤٣] ، لكن سكنتها بعد ذلك القبائل القيسية ، وقد وضح ذلك الكميت بقوله :

كانت سمرقند احقاباً يمانية فاليوم تنسبها قيسية مضر[٤٤] .

ولم تقتصر جهود قتيبة في اسكان العرب مدينة سمرقند وبخارى بل استمر ينفذ ما اعده من خطط في هذا الجانب وقـد اثمرت هـذه الجهود في إسكان العرب في مدينة فرغانة والشاش وجميع مدن ماوراء النهر[٤٥] .

لقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفي عامله على السند محمد بن القاسم الثقفي ان يرسل امداداً من اهـل العراق الى قتيبـة ، فأمـده بجيش يقوده جهم بن زحر بن قيس ، وسليمان بن صعصعة[٤٦] ، وقد ساهم هذا الجيش في فتح بلاد ماوراء النهر ، كما أرسل الحجاج جيشاً آخر من العراق سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م[٤٧] . اشترك مع قتيبة في فتح مدن الشاش ، وقد اسكن قتيبة هذه الجيوش في بلاد مـاوراء النهر ، وفي السنة نفسها ٩٥ هـ/ ٧١٣ م وعندما وصلت اليه اخبار وفاة الحجاج بن

يوسف الثقفي ، قفل راجعاً الى مرو ، وفي طريقه كان يوزع عدداً من القبائل العربية على مدن بلاد ماوراء النهر ، فقد اسكن طائفة منهم بخارى ، فضلاً عما ذكر عند تحريرها وكذلك في مدينة كش ونسق[٤٨] .

وفي سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م توغل قتيبة في بلاد ماوراء النهر باتجاه الشرق ، وكان مع الجند عيالاتهم فضلاً عن عائلته[٤٩] .

وقد نهج قتيبة في تنظيم القبائل العربية في خراسان ، طريقة الأخماس كما هو معهود في البصرة[٥٠] ، لقد كانت خراسان وثيقة الصلة بالبصرة التي كانت قاعدة لفتح خراسان ومنها اغلب المقاتلة العرب ، والولاة ، وهذا من اهم اسباب تنظيم العرب في خراسان على اساس الاخماس[٥١] .

وردت الأخماس في عدة اماكن منها عندما عقد قتيبة الصلح مع سمرقند بعث «عشرة من كل خمس برجلين فقبضوا ما صالحوا عليه» . . وقد اورد لنا الطبري قائمة بعدد الأخماس في خراسان من المقاتلة من اهل البصرة :

اهل العالية	٩٠٠٠	مقاتل
بكـــــر	٧٠٠٠	مقاتل
تميـــم	١٠٠٠٠	مقاتل
عبد القيس	٤٠٠٠	مقاتل
الأزد	١٠٠٠٠	مقاتل[٥٢]

وبذلك يكون عدد هؤلاء الأخماس اربعين الف مقاتل من اهل البصرة[٥٣] .

وقد ذكر الطبري رؤوساء هذه الأخماس ، فكان على خمس بكر ،

الحصين بن المنذر ، وعلى تميم ضرار بن حصين الضبي ، اما عبد القيس فكان عليها عبد الله بن علوان عوذي ، والأزد عليها عبد الله بن حوذان[٥٤] .

أما مقاتلة اهل الكوفة فكانت وحدة قائمة بذاتها ، وكان عليها جهم بن زحر ، وجهم هذا جاء على رأس الجيش الذي أمر به الحجاج بن يوسف الثقفي من السند ، ويبدو أن اهل الكوفة كانوا قليلي العدد قبل أن يصل امداد جهم بن زحر ، وبوصول هذا المدد ، اصبح عددهم سبعة آلاف مقاتل[٥٥] .

علاقة قتيبة بولاية العراق والخلافة :

ان الأحداث التي واجهها الحجاج بن يوسف الثقفي في مشرق الدولة العربية قد افادته كثيراً في اختيار الولاة وقادة الجيش في هذا الأقليم المهم ، هذا من جانب ومن جانب آخر وجود قوة المهالبة بقيادة يزيد بن المهلب الشخصية التي ارست قاعدة راسخة بين القبائل العربية ، نتيجة لما كان يبذله يزيد من السخاء والجود والكرم من الأموال فأكثر الشعراء في مدحه[٥٦] .

فضلاً عن ذلك فأن يزيد تلكأ في تنفيذ المهمة التي أوكلها اليه في القضاء على موسى بن عبد الله بن خازم . كما وإنّه اتخذ موقفاً منحازاً تجاه المتمردين من اتباع ابن الأشعث من القيسيين واليمانيين فقد قيد القيسيين وبعثهم الى الحجاج ، بينما اطلق سراح اليمانيين ، ولم يتحرك ابن المهلب في القضاء على اصحاب ابن الاشعث في هراة الا كارهاً ، واخيراً نمو قوة يزيد في خراسان مما كان يخشاها الحجاج ، لهذا فانه اتخذ اجراء ذا أهداف بعيدة النظر ، وهو اختياره لقتيبة بن مسلم . الباهلي

والياً على خراسان[٥٧] .

ان مايبرر اختياره قدراتـه العسكريـة والأدارية التي بـرزت في اختياره معسكراً للحجاج في قتاله مع شبيب الخارجي وقد كان ذلك سبباً في انتصاره ، ثم قدرته في القضاء على تمرد عمر بن ابي الصلت في الري .

كان قتيبة يرتبط ارتباطاً مباشراً بالحجاج من الناحية الأدارية ، على الرغم من بعد المسافة بين منطقة العمليات العسكرية لقتيبة ومدينة واسط مقر الحجاج . وكان الأخير يبعث بأوامره وأرشاداته العسكرية وغيرها الى قائده القدير ، وفي ضوء هذه العلاقة نشط قتيبة في خدمة الأهداف التي تسعى الدولة العربية لتحقيقها والتي يحرص على تنفيذها في خراسان .

وبعد ان تم فتح مدينتي (آخرون وشومان) ترك قتيبة الجند وهم سالكين طريق بلخ الى مرو ، بينما اتجه الى مدينة آمل ، وقد وصلت هذه الأخبار الى الحجاج ، فكتب اليه كتاباً يشرح فيه عدم رضاه على ما فعل قائلاً : «اذا غزوت فكن في مقدم الناس ، واذا قفلت فكن في آخرياتهم وساقتهم»[٥٨] . لقد تعلم قتيبة كثيراً ، وكان الحجاج دومـاً يشير عليه بما يراه صالحاً ، وقد ادى هذا بدوره الى تطوير فن الحرب بعد التقاء هذه المشورة بقابليات قتيبة العسكرية ، والتي ادت في محصلتها النهائية الى التنسيق الرائع مع ما يقدمه الحجـاج من جهود في نـطاق التعاون فيما بينهما في كافة محاور القتال وفي ميادين الجبهات العديدة ، وقد كانت التعليمات والارشادات تصدر من واسط مركز قيادة الحجاج العامة والمشرفة على كافة الجيوش المتجهة الى المشرق . وبطبيعة الحال ان ارشادات الحجاج هـذه لاتنقص من مركـز قتيبة وقيـادته البـارعة

وقدراته العسكرية المبدعة بقدر ماتكون في مصلحة الدولة وتثبيت سلطتها .

وفي سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ م توجه قتيبة لفتح مدينة بخارى ، الا انه لم يحقق اي هدف معين ، فقرر الرجوع الى قاعدته الرئيسية مرو ، وقد كتب الى الحجاج يخبره بذلك ، الا ان الحجاج طلب منه ان يبعث بخريطة المدينة ، فأرسل له ما طلبه منه . فكتب الحجاج الى قتيبة قائلاً : «ان ارجع الى مراغتك فتب الى الله مما كان منك وأتها من مكان كذا وكذا»[٥٩] .

وبأمر من الحجاج توجه قتيبة الى رتبيل حاكم سجستان ، الا ان الأخير تدبر الأمر وأرسل من صالح قتيبة وعقد اتفاقية على جزية يؤديها سنوياً لقتيبة[٦٠] .

وعندما قرر قتيبة التوجه نحو سمرقند لتحريرها كتب الحجاج اليه كتاباً يقول فيه : «أما بعد فاني لست بآنس اذ فتح الله علينا وعليك خوارزم ان يفتح الله عليك وعلينا ما بعدها ، وقد بلغني انك تريد المسير الى سمرقند وانا انشدك ان غزوت بالمسلمين ، وأنا أسال الله ان يعز نصرك وان يحسن عاقبتك ، وان يمدك بالملائكة المردفين ، وان يرعب قلوب اهل سمرقند ، وان يخالف بين كلمتهم ، وان يلقي باسهم بينهم ، . . . وان يجعل دائرة السوء عليهم ، انه على كل شيء قدير والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[٦١] .

لقد كان قتيبة موضع ثقة عالية عند الحجاج ، لاتتأثر باي دوافع من قبل اعدائه وحاسديه ، لذلك لم يفرط بقتيبة على الرغم من كثرة الدسائس التي حيكت عليه ، نذكر من ذلك انه عندما خرج قتيبة لتحرير مدينة بخارى جعل على مرو عبد الله بن عبد الله بن الأهتم

الا انـه تآمـر على قتيبـة ، وأخذ يـدس الدسـائس وينتحل الاخبـار الكاذبة ، ويكتب الى الحجاج بما آلت اليه ثروة قتيبة ، واقتنائه الأموال العظيمة الا ان الحجاج كان على معرفة واطلاع تام على احوال قتيبة ومدى اخلاصه ووفائه وتفانيـه في تنفيذ مـا عهد اليـه من مهمات ، ماجعلت الحجاج ان يرسل الرسالة التي بعثها ابن الأهتم مطوية مع رسـالة الحجـاج فعنـدمـا علم ابن الأهتم هـرب الى الشـام واختفى فيها[٦٢] .

وفي كتاب آخر للحجاج يأمر فيه قتيبة بعبور نهر بلخ وفتح المدن الواقعة خلفه ، فاستجـاب لهذا الأمـر . ثم ارسل اليـه الأرشادات والنصائح في كتاب بعثه الحجاج يخبره فيـما لو انـه عبر النهـر لمقاتلة الترك ، حيث يبين له قائلاً : «لاتخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومدى سهامك»[٦٣] .

وخير ما يمثل هذه العلاقة المتينة بين الحجاج وقتيبة ، وثيقة مهمة بين ايدينا تدل دلالة واضحة على التوجيه المتواصل والدعم غير المحدود له من قبل الحجاج في الجوانب الآدارية والسياسية والعسكرية كافة ، ولهذه الوثيقة اهمية كبيرة في رسم السياسة المتبعة في خراسان اذ اكـد الحجاج قائلاً : «أما بعد ياقتيبة فقد استقبل الله عز وجل من أمرك بما لم يستقبل به احد قبلك من التمكن في البلاد والظهور على الأعداء ، فخذ ما آتاك الله بقوة وكن من الشاكرين ، وأعلمك ياقتيبة بأنك الى الشدة في دين الله عز وجل احوج منك الى اللين والوهن والضعف ، فاشدد يديك أبا حفص بما قلدك الله تبارك وتعالى من أمر خراسان ، واتبع السياسة التي رضى الله بها عن عبده الصالح ذي القرنين ، اذ قيل له لما بلغ مغرب الشمس «يذا القرنين امـا ان تعذب وأمـا ان تتخذ منهم

حسناً»[٦٤] فاحب الله تبارك وتعالى ان يبلوه فيما أتاه ، فهواه الى طاعته ومرضاته من الحزم والقوة . فقال «أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكرا وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقول له من أمرنا يسرا»[٦٥] ، فرضى الله بصنيعه الحسن وقص ذلك في كتابه العزيز على نبيه صلى الله عليه وسلم ليقتدي به أئمة الحق ورعاة الدين فتدبر أبا حفص ما كتبت به اليك من موعظة العبد الصالح - والسلام عليه ورحمة الله وبركاته[٦٦] .

لم تقتصر علاقة قتيبة بالحجاج على النواحي السياسية والعسكرية ، وانما كانت ابعد من ذلك . فقد كانت علاقته الشخصية بالحجاج قوية جداً . وتتضح مدى قوة العلاقة هذه بينهما ، عندما وصل خبر وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي الى قتيبة وهو في مدينة الشاش ، في شهر شوال من سنة ٩٥ هـ / ٧١٣م ، حزن كثيراً ، وازداد قلقه ، لذلك رجع مسرعاً الى مرو ، وهذا ما يوضح عمق ارتباط قتيبة بالحجاج ، ومن حق قتيبة ان يجزع لموت الحجاج ، ويظهر الحزن الشديد لأن الحجاج كان القوة التي تقف وراء قتيبة وتسنده في المجالات كافة .

أما علاقة قتيبة بالخلافة ، فكانت حسنة فقد كان الخليفة مهتماً بهذا الأقليم اهتماماً كبيراً وخاصة بسير العمليات العسكرية ، فقد كتب الخليفة الوليد بن عبد الملك بعد وفاة الحجاج الى قتيبة يقول : «قد عرف امير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد اعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب فالمم مغازيك ، وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن امير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي انت فيه»[٦٧] .

وواضح من النص الجهود الكبيرة التي كانت يبذلها قتيبة في الجهاد ونشر راية الاسلام ، ومنزلة قتيبة الرفيعة ومكانته المرموقة عند الخليفة ، وان هذه المكانة ستزداد بالمستقبل ، الا ان الخليفة يطالب قتيبة باطلاعه على كل شيء ، لأن خراسان ثغر مهم وذو قيمة كبيرة للأمويين .

(١) الري : احدى المدن الكبيرة في اقليم الجبال . وتقع من الطرف الشمالي الشرقي في اقليم الجبال . ولها حصن مشهور له خمسة ابواب . وللري رساتيق مشهورة منها قصران الداخل والخارج . للمزيد من التفاصيل : انظر :
اليعقوبي ، البلدان ، ص ٤٠ . ، ابن رسنة ، الاعلاق النفيسة ، ص ٢٧٦ . ، ابن الفقيه مختصر ، ص ١٠٤ . ، الأصطخري ، مسالك ، ص ١٢٢ - ١٢٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص ١١٦ - ١١٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٧٨ .

(٣) ن . م . جـ ٦ ، ص ٣٥٩ .

(٤) عن سجستان : انظر : الأصطخري ، المالك والمسالك ، ص ١٢ ، ابن حوقل ، صورة ص ٣٤٧ . ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٥ ، ص ٣٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٨ .

(٦) عن ولاية قتيبة على الري لاتقدم مصادرنا اية معلومات تخص الجانب الاداري او الاقتصادي او اية احداث سياسية اخرى . باستثناء تمرد عمر بن ابي الصلت في سنة ٨٢ هـ . وربما يكون مرد ذلك الى اهتمام المصادر بحركة عبد الرحمن بن الاشعث والتي عاصرت هذه الفترة .

(٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٩٥ - ٣٩٧ .

(٨) ن . م ، حـ ٦ ، ص ٣٩٥ - ٣٩٧ .

(٩) الطالقان : من اهم مدن بلخ ، وتقع بين جبلين ، وهي مدينة كبيرة تقدر مساحتها بثلث مساحة بلخ . انظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٤٩ . ، قدامة نبذة كتاب الخراج ، ص ٢١٠ ، طبعة ليدن . الاصطخري ، مسالك ، ص ١٥٦ . ، ياقوت ، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، ص ٢٩١ .

(١٠) مرو : من مدن خراسان المهمة ، وتعرف بمرو الشاهجان تميزاً لها عن مرو الروذ وتسمى ام خراسان ، وتقع في ارض مستوية وارضها رملية وسبخة ، ويغلب على بناء بيوتها الطين . للمزيد من التفاصيل : انظر : ابن خرداذبة ، مسالك ، ص ٣٦ الاصطخري ، مسالك ، ص ١٤٧ .

(١١) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٥ .

(١٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٥٥ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٥٠ .

(١٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٦ .

(١٤) الفارياب : احدى مدن الجوزجان ، التابعة الى مدينة بلخ . والفارياب اصغر من مدينة الطالقان ، وتقع غربي نهر جيحون ، وتمتاز بكثرة بساتينها ومياهها . انظر : الأصطخري ، مسالك ، ص ١٥٣ . ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٣٦٩ . ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٤ ، ص ٢٢٩ .

(١٥) الجوزجان : وهي من مدن بلخ المهمة . وتقع في غرب ربع بلخ ، بناء بيوتها الطين ولها بساتين ومياه كثيرة . انظر : اليعقوبي ، بلدان ، ص ٥٠ . الأصطخري ، مسالك ، ص ١٥٣ .

(١٦) بلخ : احدى ارباع خراسان ، بلخ مدينة خراسان العظمى ، وتمتاز بحسن موقعها وسعة طرقها ، فضلاً عن كثرة انهارها واشجارها . وللمدينة اثنا عشر باباً . انظر : اليعقوبي ، بلدان ، ص ٥٠ . ، الأصطخري ، مسالك ، ص ١٥٨ . المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٣٠٢ . ، ياقوت معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٤٨٠ .

(١٧) مرو الروذ : احدى مدن مرو ، وهي اصغر منها ، وفيها قصر الأحنف ، نسبة الى الأحنف بن قيس ـ وتبعد عن مرو الشاهجان حوالي ١٦٠ ميلاً . انظر : اليعقوبي ، بلدان ، ص ٤٣ ، الأصطخري ، مسالك ، ص ١٥٢ . ، ابو الفداء ، تقديم البلدان ص ٤٥٧ . ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٤٥٥ .

(١٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٦٢ .

(١٩) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٣ . ، اليعقوبي ، حـ ٣ ، ص ٣٢ . ، ابن دحلان ، الفتوحات جـ ١ ، ص ١٩٤ ، (القاهرة ـ ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م) .

(٢٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٨٠ ، مسكوية ، تجارب الأمم ، ورقة ٤ ب . ، ابن الجوزي المنتظم ، حـ ٦ ، ورقة ١٣٣ أ .

(٢١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٦٥ ـ ٦٦ ، (بيروت ـ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م) .

(٢٢) عمر ، فاروق ، النظم الاسلامية ، ص ١٢٧ ، (العين ـ ١٩٨٣) . ، الصالح ، صبحي النظم الاسلامية ، حـ ٥ ، ص ٣٢٣ ، (بيروت ـ ١٩٨٠) .

(٢٣) علي ، سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب ، ص ١٨١ ، (بيروت ـ ١٩٦٨) .

(٢٤) ابن سعد ، الطبقات ، حـ ٧ ، ص ١٠١ ، البستي ، محمد بن حيان ، مشاهير علماء الامصار ، ص ١٢٦ . معروف ، ناجي عروبة العلماء في خراسان ، حـ ١ ، ص ٣٦١ ، (بغداد - ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .

(٢٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٧ .

(٢٦) معروف ، ناجي ، عروبة العلماء ، ص ٣٦١ - ٣٦٥ .

(٢٧) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .

(٢٨) صالح احمد العلي «استيطان العرب في خراسان» ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٣ سنة ١٩٥٨ ، ص ٣٦ - ٨٣ .

(٢٩) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦ .

(٣٠) ن . م . ص ٥٠٦ .

(٣١) ن . م . ص ٥٠٧ ، الانباري ، عفبد الرزاق ، التوزيع الجغرافي لعرب خراسان ، مجلة دراسات الاجيال ، العدد ٤ ، ١٩٨٠ م ، ص ١٦٨ .

(٣٢) الثورة العباسية ، ص ١٢٠ .

(٣٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .

(٣٤) الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٠١ .

(٣٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٤ .

(٣٦) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٥٠ (مصر . لا . ت) .

(٣٧) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٧٣ ، ص ٨٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ ٩ ، ص ٧١ .

(٣٨) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٨٠ .

(٣٩) ن . م ، ص ٨٠ .

(٤٠) ن . م . ص ٨٠ .

(٤١) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٥ . ابن خلدون ، العبر ، ق ١ ، حـ ٣ ، ص ١٣٩ .

(٤٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ ، قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٠٨ .

(٤٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٥٥ .

(٤٤) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٩ . ، وعند مراجعتنا لديوان الكميت لم اجد غير هذا البيت الذي ذكره الطبري ، انظر : سلوم ، داود ، شعر الكميت بن زيد

الأسدي ق ١ حـ ١ ، ص ١٧٠ ، (النجف - ١٩٦٩ م) .

(٤٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٥٢٠ .

(٣٤٦) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٨٤ .

(٤٧) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٩٢ . ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٨٣ .

(٤٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠٠ .

(٤٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٠ .

(٥٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ق ٢ ، حـ ٤ ، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٥١) صالح احمد العلي «استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٣ ، ١٩٥٨ م ، ص ٣٨ .

(٥٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥١٢ . ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٥٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٥٢٠ .

(٥٤) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥١٢ . ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٥٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥١٢ .

(٥٦) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، حـ ٢ ، ص ٤٤٨ ، (بيروت - ١٩٦٤ م) . ، المقدس ، البدء والتاريخ ، حـ ٦ ، ص ٣٧ .

(٥٧) قلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٥٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٢ . ، ابن كثير ، البداية ، حـ ٩ ، ص ٧٠ .

(٥٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٠ .

(٦٠) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٤ . ، اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٣٢ .

(٦١) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٣٩ .

(٦٢) ابو عبيدة ، النقائض ، حـ ١ ، ص ٣٥٠ . ، البلاذري ، فتوح ، ص ٥٢٢ .

(٦٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، حـ ٤ ، ص ٢٦٩ .

(٦٤) سورة الكهف ، آية : ٨٦ .

(٦٥) سورة الكهف ، اية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٦٦) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٤٧ .

(٧٦) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

الفصل الثالث

قتيبة بن مسلم الباهلي ودوره في الفتوحات العربية الإسلامية

مقدمة جغرافية عن بلاد ماوراء النهر

موقف العرب العسكري في خرسان

الوضع العسكري في بلاد ماوراء النهر قبل قتيبة بن مسلم

إجراءات قتيبة وآستعداداته

عمليات التحرير التي قام بها قتيبة

فتح بيكند ٨٧ هـ / ٧٠٦ م

فتح نومشكت ورامثينة

فتح بخارى ٩٠ هـ / ٧٠٨ م

فتح باذغيس ٩٠ هـ / ٧٠٨ م

فتح شومان وكش ونسف ٩١ هـ / ٧٠٩ م

فتح خوارزم ٩٣ هـ / ٧١١ م

فتح سمرقند ٩٣ هـ / ٧١١ م

فتح الشاش وفرغانة ٩٤ هـ / ٧١٢ م

فتح مدينة كاشغر ٩٦ هـ / ٧١٤ م



مقدمة جغرافية عن بلاد ماوراء النهر .

بلاد ماوراء النهر .

لقد اطلق العرب على كل الأقاليم التي تقع بعد نهر جيحون[١] . اسم بلاد ماوراء النهر ويمكن تقسيمها الى خمسة اقاليم هي : اقليم الصغد ، اقليم خوارزم ، اقليم الصغانيات ، اقليم فرغانة ، اقليم الشاش[٢] .

أقليم الصغد :ـ يضم الأراضي الواقعة بين نهري جيحون وسيحون ، وهي اراضي خصبة وكثيفة الأشجار والنبات ، وتسقى هذه الأراضي بنهر الصغد ، وتعد من جنات الدنيا الأربع[٣] .

من أهم مدن الأقليم : بخارى التي تعتبر العاصمة الدينية[٤] ، بينما تعد سمرقند العاصمة السياسية وبخارى مدينة واسعة ، تتبعها مدن منها بيكند وهي مدينة التجار ، وتبعد عن السور الكبير الذي يحيط ببخارى مسافة فرسخين وليس لمدينة بيكند قرى[٥] .

اما سمرقند فأنها قصبة الصغد الثانية ، وللمدينة سور له اربعة ابواب وللقائد العربي قتيبة بن مسلم اطراء على جمالها ، وتتبع المدينة رساتيق عدة .

اقليم خوارزم : خوارزم بلاد خصبة كثيرة الطعام والفواكه كما يشير الاسطخري ، وتضم العديد من المدن والقرى . من اهم مدنه مدينة الكاث وهي قصبة الأقليم[٦] ، وهزارسب وخيوة ، والفيل ورد هذا الاسم في اخبار تحرير خوارزم سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م . هذا فضلاً عن المدن الأخرى . وللأقليم علاقات تجارية مع بلاد الترك[٧] .

اقليم الصغانيات :ـ يقع هذا الاقليم غرب نهر الوخش ، وقد اطلق العرب عليه اسم الصغانيات . من اهم مدنه مدينة الترمذ . وابنيتها طين . وكانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال الى

خراسان[٨] . ومن مدنها ايضاً مدينة شومان ، وتشتهر بالزراعة .

اقليم فرغانة :ـ وقصبته أخسيكت ، والأقليم عريض وواسع ، وتتبع مدينة فرغانة قرى عديدة تتميز الواحدة منها بكثرة اهلها وسعة مزارعها . وبالأضافة الى فرغانة فأن للأقليم مدناً اخرى منها : وانكث ، خواكتدة ، ورشتان ، واندكان ، وأوش[٩] .

اقليم الشاش : يقع على ضفة نهر سيحون اليمنى ، وعاصمة الأقليم تسمى بالشاش ايضاً[١٠] ، وتتبعها ترى كثيرة وعامرة . ومدينة الشاش من اكبر الثغور الاسلامية في وجه الترك ، وللأقليم مدن عديدة ، تتميز بكونها واسعة وخصبة[١١] .

موقف العرب العسكري في خراسان :

كان موقف العرب العسكري في اقليم خراسان قبل قدوم قتيبة بن مسلم الباهلي ، موقفاً جيداً وحازماً ، خاصة عندما تولى يزيد بن المهلب ولاية خراسان ، الذي نظم القوات العربية الموجودة فيها مما ساعد المفضل بن المهلب على القيام بحملات على بعض مدن بلاد ما وراء النهر ، وقد تكللت جهوده هذه بالنجاح ، ولذلك فان الموقف العسكري القوي قد مكن قتيبة من تنفيذ ما خططته له القيادة العامة في العراق بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي .

وبعد ان تسلم قتيبة ولاية خراسان ، قام بعدة اجراءات الغرض منها تعزيز الموقف العسكري لكي يبدأ بعد ذلك بالمسير نحو مدن بلاد ماوراء النهر لفتحها ونشر الأسلام في ربوعها ، فقد وطد الأمن والنظام في الولاية[١٢] ، وعبّأ جيشه بصورة جيدة ، وأعده اعداداً متكاملاً ، من الناحية التسليحية وجميع الأمور العسكرية الأخرى[١٣] . واتخذ مدينة مرو قاعدة عسكرية[١٤] ، تمده بالأمدادات اللازمة لأحتياجات جيشه ،

كما أن تعزيزات عسكرية كان قد جلبها قتيبة معه من العراق ، عندما عين والياً في سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م .

واتبع قتيبة سياسة الضبط بالنسبة للجنـد[١٥] ، وتمكن من جمع كلمة القبائل العربية وتمكن من توحيدها ، ووجه انظارها نحو الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في هذا الأقليم . وقد نجح في مسعاه هذا ، فقد اندفع العرب بكل بسالة لفتح الكثير من مدن بلاد ماوراء النهر ، محققين الأنتصارات العظيمة ضد اعداء الاسلام .

لقد تمتع العرب لمعنويات عالية جداً ، وكانوا اكثر تحمساً لنشر الاسلام[١٦] . تشدهم عقيدته السمحة والجهاد في سبيل الله ، اذ انهم يتقدمون في بلاد ينتشر فيها الشرك والوثنية وعبادة النار بشكل واسع لذا كان القضاء على الوثنية يتطلب موقفاً حازماً وموحداً .

ومن الجدير بالذكر ان جميع العمليات العسكرية التي قام بهـا الولاة السابقون لقتيبة ، قد ادت الى تقوية الجيوش وبناء وتحسين اسوار المدن ، والى تسليح الجيش بأحسن الأسلحة ، واكثرها قوة وجودة[١٧] .

الوضع العسكري في بلاد ماوراء النهر قبل قتيبة بن مسلم :

ان الوضع العسكري لبلاد ماوراء النهر لم يكن بالدرجـة التي وصفها المؤرخون المحدثون بـل يوجـد العديـد من المدن التي تمتلك التحصينات الجيدة ، بخاصة ، الحصون المنيعة ذات الأسوار القوية والتي وقفت امام هجمات الجيوش العربية المركزة بقوة ، ولم تتأثر بها الا بعد ابتكار طرق فنية استطاع القائد قتيبة من خلالها السيطرة على مثل هذه المدن[١٨] .

هناك عوامل عديدة ساعدت بلاد ماوراء النهر على اعاقة تقدم القوات العربية الأسلامية بشكل سريع ، الا ان العرب المسلمين تمكنوا من تحقيق الأنتصارات الباهرة والتغلب على جميع الصعاب .

فقد أمتلك سكان ماوراء النهر الجيوش الكبيرة ، فضلاً عن الأسلحة الجيدة ، وليس هذا فحسب فقد اقتنوا مخازن عديدة لخزن الأسلحة ، ووضعوها تحت تصرف الجنود اثناء القتال ، وهذا ما وجده قتيبة بن مسلم في مدينة بيكند حيث وجد اسلحة كثيرة ومتنوعة وزعها على مقاتلي الجيش العربي بعد التحرير(١٩) . كما انهم استفادوا من الوضع الطوبوغرافي للأرض المعقدة ذات السلاسل الجبلية المتصلة مع بعضها ، والشاهقة ، مما جعل تحرك وتقدم الجيوش العربية الأسلامية ، تقدماً بطيئاً وحذراً . فضلاً عن العمق الجغرافي لبعض الممالك في بلاد ماوراء النهر ولمملكة سجستان ، وهذا ماطبقه فعلاً وتنبه اليه رتبيل حاكم سجستان(٢٠) .

ان لبلاد ماوراء النهر نشاطاً اقتصادياً وخاصة في الجانب التجاري مما جعل السكان يبنون القلاع والحصون والاسوار لحماية مدنهم(٢١) من هجمات الاعداء وتجنب البلاد الدمار والنهب ، وهذا ما كان مطبقاً في بيكند وسمرقند ، والعديد من المدن الأخرى ، وكان مما يزيد من قوة الموقف العسكري لبلاد ماوراء النهر ، عامل الطبيعة فقد اعاق تحرك القطعات العسكرية العربية ، وجعلها مقتصرة على فصلي الربيع والصيف ، وعند حلول فصل الشتاء ، كان الجيش العربي في اماكن تجمعه وبخاصة تلك التي انطلق منها مثل مرو وغيرها(٢٢) .

الا ان جميع تلك العوامل لم تقف بوجه القوات العربية الأسلامية التي اندفعت كالسيل الهادر لتحقق أروع الأنتصارات في سبيل نشر

الأسلام .

إجراءات قتيبة واستعداداته :

ان هذه الناحية ذات اهمية كبيرة لأي قائد عسكري وبخاصة مثل القائد قتيبة بن مسلم ومنذ اللحظة التي وطأت قدمه أرض خراسان ، بدأ عمله الدؤوب والجاد في تهيئة السبل المتوفرة لديه كافة لخدمة الهدف العام ، وتحقيق النصر المظفر على الأعداء . وقد اتخذ جملة اجراءات عسكرية لتهيئة وتعبئة الجيش العربي في خراسان لخوض غمار المعارك الحاسمة ، فمن هذه الأجراءات ، نشر العدل وتوطيد النظام واقرار الأمن ، ووحدة القبائل العربية وقد اكد ذلك في خطبته فيهم[٢٣] .

ان سياسة العدل التي اتبعها قتيبة تتضح في قول الشاعر حنظلة بن عرادة التميمي :

أتـيـت خـراسـان ابـن عـمـرو وأهـلـهـا
حـيـارى ونـار بـيـنـهـم تحـتـرق
فـأطـفـاتهـا والـعـدل مـنـك سـجـيـة
وأنـت لـعـمـري لـلـسـداد مـوفـق
فـمـرنـا أبـا حـفـص بمـا شئـت انـنـا
الى كـل مـاتهـوى نـخـب ونـسـبـق
فـأنـت لـنـا راع ونـحـن رعـيـة
وكـفـاك بـالأحـسـانِ فـيـنـا تـدفـق
فـلا تـأخـذنـا يـاقـتـيـبـة بمـا مـضىٰ
مـن الجـهـل ان الحـر يـعـفـو ويـرفـق[٢٤]

وليس هذا فحسب ، وانما كان من نتائج السياسة التي اتخذها تجاه القبائل العربية وبقية السكان الآخرين ، الطاعة والأحترام لهذا القائد الكبير ، الذي استطاع بحسن درايته ورجاحة عقله ، في اتباعه السياسة المتزنة التي جعلت من القبائل العربية تجاهد اعداء الاسلام ، من اصحاب المجوسية والوثنية ، ما يقارب من العشر سنوات .

والأجراء الثاني هو في الحقيقة ، العامل الأكثر حيوية وتدفقاً في التعبير عما يجول بخاطر هذا القائد المقدام ، فقد وقف امام الجيش العربي مخاطباً اياه بأحاديث ذات ابعاد استراتيجية بعيدة المدى ، وحاثاً المقاتلين على الجهاد ، واسترخاص الأرواح والدماء في سبيل العقيدة والمبادىء التي جاء بها الرسول العربي محمد (ص) في نشر الاسلام ، وان خطبته هذه دليل قاطع تدحض جميع الأقاويل المغرضة التي يروجها اعداء العرب والاسلام والتي تجعل هدف عمليات التحرير العربية العظيمة الحصول على المغانم والأموال[٢٥] . فخطب بالناس :

«ان الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ، ويذب بكم عن الحرمات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدو وقماً ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق فقال : «هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[٢٦] . ووعد المجاهدين في سبيله احسن الثواب ، واعظم الذخر عنده فقال : «ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولا مخمصة في سبيل الله» ، الى قوله «أحسن ماكانوا يعملون»[٢٧] . ثم اخبر عمن قتل في سبيله انه حي مرزوق فقال : «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون»[٢٨] . فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا

أنفسكم على اقصى اثر وامضى الم ، واياي والهوينى»[٢٩] .

وأجراء آخر عزز به موقف العرب ، مهيئاً بذلك جيشه في منازلة الاعداء وخوض معارك الشرف والعز ، هذا الأجراء هو فحص معدات الحرب من الأسلحة وبقية الآت الحرب الأخرى المهمة مثل المنجنيق وآلات الحصار ، وعدد الدروع ونوعيتها ومدى ملاءمتها وصلاحيتها في القتال[٣٠] ، وكان قتيبة شديد الأهتام بتجهيزات المقاتلين من الأسلحة وبخاصة الدروع[٣١] .

أمر آخر اتخذه قتيبة قبل الشروع في العمليات التحررية والتقدم عبر نهر جيحون ، وهو في غاية الأهمية ، فقد جمع قتيبة المعلومات الكافية عن عدوه من الناحية العسكرية والأقتصادية ، مما جعله يستخدم العيون بشكل واسع[٣٢] وهذا الجهاز مايصطلح عليه حديثاً «بجهاز الأستخبارات» . وقد اهتم قتيبة بالخيل لأهميتها في عملية العبور ، فقد هيأ اعداداً كبيرة منها ، قبل ان يتوجه في المسير الى بلاد ماوراء النهر ، وكانت هذه الخيل تكون في مقدمة الجيش اي طلائع الجيش ، لخفتها في الحركة وانها ذات سرعة كبيرة . وقد نظم خط المواصلات وخدمات البريد بين مقر القيادة العامة في العراق ، وبين باقي مدن خراسان ، ومع عاصمة الخلافة الأموية دمشق .

كما هيأ الأدلاء من السكان المحليين لمرافقة الجيش العربي المسلم وبخاصة مع الطلائع لمعرفتهم الطرق معرفة تامة . وهذا ماساعد قتيبة على وضع الخطط العسكرية .

واتخذ اجراءً أمنياً استهدف من ورائه القضاء على بعض الأضطرابات التي قام بها سكان مدينة بلخ ، قبل التوجه الى بلاد ماوراء

النهر ، مما ساعد على تقوية الجبهة الداخلية . ومن اجراءاته الأدارية ضمن استعدادته من اجل الزحف وعبوره نهر جيحون لتحرير مدن بلاد ماوراء النهر ، تعيينه اياس بن عبد الله بن عمرو على حرب مدينة مرو ، وعثمان بن السعدي على خراجها[٣٣] .

عمليات التحرير التي قام بها قتيبة :

اشتهر عدد من القادة الكبار خلال عمليات تحرير المشرق مثل عبد الله بن عامر والأحنف بن قيس وغيرهما ، حيث كانت منجزاتهم في هذا الميدان عاملاً دفع الى تحقيق المزيد من الأنتصارات الرائعة في اقليم خراسان وبلاد ماوراء النهر ، حتى جاء القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي مكملاً الأنجازات الحربية الباهرة السابقة ، فقد تجلى عمق الأنتصارات التي حققها قتيبة في توفيقه بين الهدف والوسيلة على نحو سليم ومحكم ، قال عنه ابن كثير : «قتيبة بن مسلم . . . من سادات الأمراء وخيارهم وكان من القادة النجباء الكبراء والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة والأراء الحميدة وقد هدى الله على يديه خلقاً لايحصيهم الا الله فأسلموا وأدانوا لله عز وجل»[٣٤] . وأضاف «وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن شيئاً كثيراً » . ويستمر ابن كثير بقوله ، « . . . انه ماكسرت له راية وكان من المجاهدين في سبيل الله واجتمع له من العساكر مالم يجتمع لغيره»[٣٥] . ويذكر اليافعي انه « . . . كان بطلاً شهماً مقداماً هزم الكفار غير مرة»[٣٦] .

ان الجهود التي بذلها قتيبة بن مسلم الباهلي ومن جاء بعده من القادة العرب زمن الأمويين ، ادت الى اندماج اقليم ماوراء النهر بالدولة العربية الاسلامية ، فضلاً عن ان عمليات التحرير التي قادها

قتيبة لم تكن على شكل غارات خاطفة كالتي سبقته ، بل حملات منظمة بذل لها قتيبة جهوداً كبيرة .

وصل قتيبة الى خراسان في بدء سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥م ، والمفضل بن المهلب يعرض الجند ، ويستعد بالهجوم على مدينتي آخرون وشومان . فالقى قتيبة خطبة في جنده حثهم فيها على الجهاد ، وكانت خطبة مؤثرة وبليغة حقاً عملت عملها فجعلت المقاتلين اكثر حماساً ولشوقاً واندفاعاً واستعداداً للتضحية ، والذود عن المبادىء والعقيدة ، ودفاعاً عن الأنسان وقيمه المهدورة في تلك البقاع ، واصبح هدفهم وضالتهم المنشودة في تحقيق هذا العمل الجبار . فضلاً عن هذا فانه يذكرهم بأن طريقهم مليءُ بالمتاعب والصعوبات التي تتطلب رجالاً يقهرونها ويذللونها ، عن طريق التحلي بالصبر ، والتعوذ على مثل هذه الأمور خدمة للهدف العام والأشمل والغاية من التحرير هو نشر الأسلام وتحرير الأنسان[٣٧] .

وبعد ما انتهى من خطبته ، استعرض الجيش واستعد للمسير الى مدينة آخرون . وبذلك وصل الى الطالقان ، فاستقبله دهاقين بلخ ، وبعض عظمائهم وعبروا معه نهر جيحون ، وبعد عبوره تلقاه ملك الصغانيان بالكثير من الهدايا ومفتاح المدينة وأبدى لقتيبة الطاعة[٣٨] . وجاء ايضاً ملك كفتان مقدماً الطاعة ، ودعا قتيبة الى بلاده وان ملكي آخرون وشومان قذ ضايقا ملك الصغانيان مما ادى بقتيبة الى المسير اليهما ، وان هاتين المدينتين هما من طخارستان وملكها هو غشتاسبان ، فصالحه على مبلغ من المال يؤديه سنوياً فقبلها قتيبة .

عاد قتيبة الى مرو مركز ادارة خراسان ، وهي احدى القواعد العسكرية الرئيسة فيها ، عين اخاه صالح على الجند ، وعندما وصل

الى مرو قبل وصول الجيش ، سمع الحجاج بذلك ، فكتب اليه : «اذا غـزوت فكن في مقـدم النـاس واذا اقفلت فكن في آخـريـاتهـم وسـاقتهم»[٣٩] . ان مثل هـذه الاشارة فيهـا دروس بليغة ونصـائـح مفيدة .

وفي اثناء رجوع الجيش بقيادة صالح بن مسلم ، حقق نجاحاً في تحرير باسارا . وكاسان ، وأورشت وأخشيت ، وهي مدينة فـرغانـة القديمة . وكان معه نصر بن سيار ، وقاتل قتالاً شديداً ، فكان ذلك يوماً مشهوداً ويشير البلاذري الى ان ملك الجوزجان قدم الولاء وصالحه على مبلغ معين من المال .

ومن المهم ان نبين الطريق الذي رجع منه قتيبة الى مرو ، فقد اتبع طريقاً مخالفاً لما كان متبعاً من قبل الولاة السابقين حيث سار مع نهر جيحـون شمالاً الى الغـرب من بخارى ، وعبـر جيحـون من مـدينة آمل[٤٠] ، ويظهر ان قتيبة أراد من عمله هذا ان يستطلع المنطقة بنفسه وجمع المعلومات المهمة كافة عن مدن الأقليم ، لاسيما اذا علمنا ان هدف قتيبة القادم كان مدينة بيكنـد . ويتضح ان من اهـداف هذه الحملة التي قادها قتيبة هو ضرب الحصار على مدن بخارى وبيكند ، ولهذا فانه خالف سابقيه في عبور نهر جيحون .

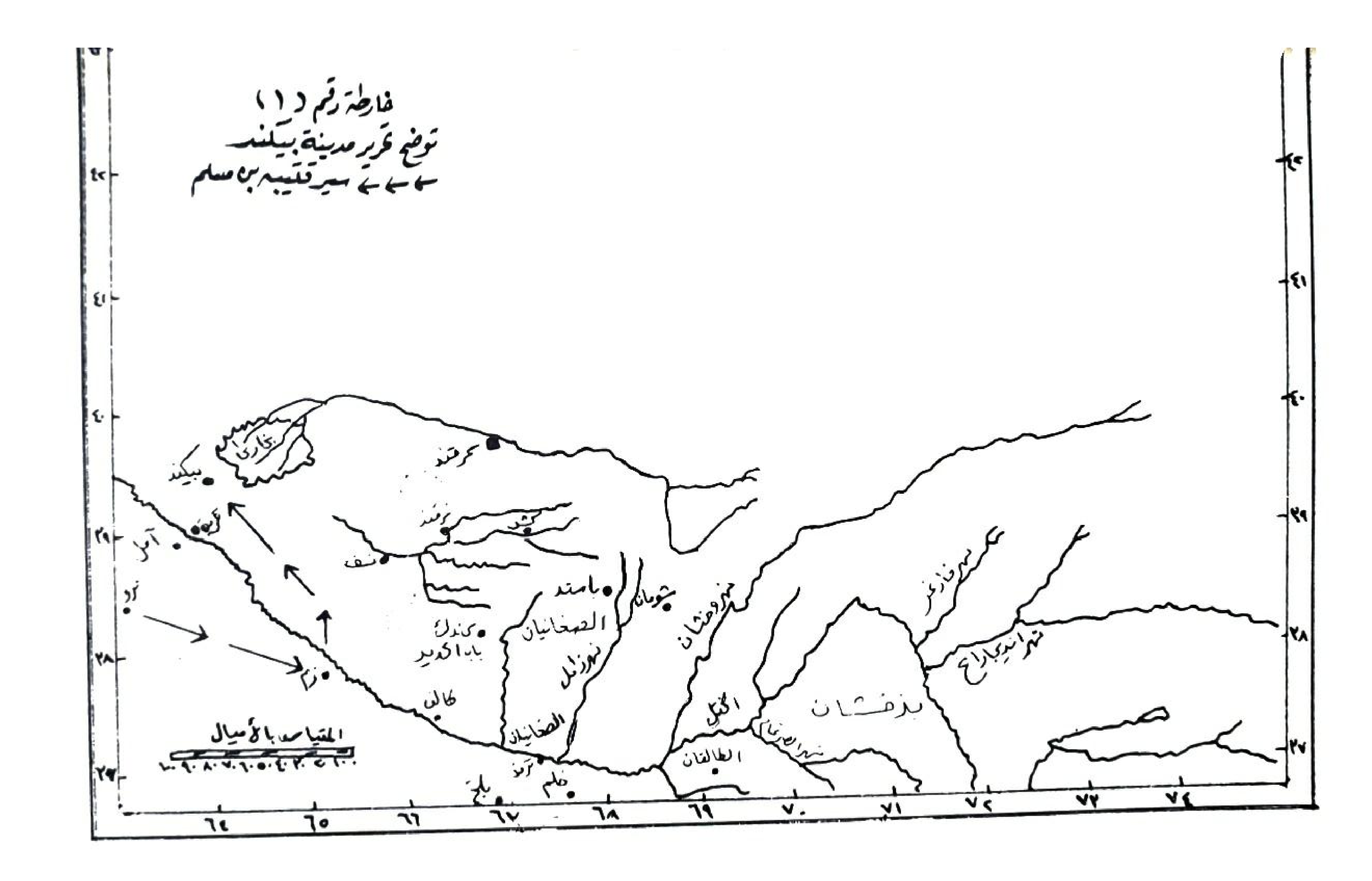
في سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م قدم نيزك حاكم باذغيس على قتيبـة بصحبته سليم الناصح عندما طلب منه قتيبة اطلاق المسلمين الذين يحتجزهم ووافقه نيزك وعقد صلحاً مع قتيبة[٤١] .

فتح بيكند سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م :

بعد الجولة الأستطلاعية التي قام بها قتيبة سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، ورجوعه الى مدينة مرو لأراحة الجند ، والتهيؤ واكمال الأستعدادات اللازمة لتحقيق اهدافه في بلاد ماوراء النهر ، كان هدفه الأول في مطلع الربيع من سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م التقدم الى مدينة بيكند ، المدينة التجارية المهمة[٤٢] ، الواقعة على الطريق التجاري الذي يربط مدينة بخارى بمرو عبر طريق آمل[٤٣] ، ان اختياره هذه المدينة المهمة يعود لعدة اسباب منها : انها تقع بالقرب من مدينة بخارى ، وان الأخيرة احد الأهداف المرشحة ، ضمن خطة القائد قتيبة ولذلك فأن عملية تحرير مدينة بيكند سوف تسهل وتزيل عقبات كثيرة يمكن ان تعرقل تحرير بخارى ، وناحية اخرى ان بيكند تمتلك اسواراً منيعة ليس من السهولة اقتحامها[٤٤] ، وان تركها يجعلها احد المراكز الاساسية لتجمع المسلمين ، ومنها يمكن مهاجمة الجيش العربي من الخلف اثناء زحفه نحو بقية المدن الأخرى . وسبب آخر مهم لأختيار بيكند وهو انها تمتلك مخازن كبيرة للأسلحة ، فاذا ماتم الأستيلاء عليها سوف تكون قوة اضافية للجيش في تحسين نوعية اسلحته ، وفي الوقت نفسه سد النقص من الاسلحة لبعض فرق الجيش . فضلاً عن هذا فأن بيكند تقع على طريق مواصلات قتيبة ، فأن تركت على الصلح فقط ، فأن بأمكان اهالي المدينة انقاضه وقطع طريق المواصلات الذي يربط قتيبة بقاعدته الرئيسية مرو ، وبذلك لاتصله الأمدادات العسكرية والتجهيزات الضرورية الأخرى ، لذا فانه قرر فتحها .

تتفق المصادر التاريخية كافة على ان قتيبة عبر نهر جيحـون من مدينة زم[٤٥] ، وبعد ذلك تقدم نحو بيكند .

وصلت اخبار زحف قتيبة الى سكان المدينـة ، فقامـوا بجملة ترتيبات دفاعية لحماية المدينة ، مما زاد من مناعة الأسوار وحصانتها ، إذ أصلحوا الأماكن التي تحتاج الى مناعة لتصمد امـام هجمات الجيش العربي ومنجنيقاته ، ويظهر فعلاً متانة هذه الأسوار ، وانها على درجة كبيـرة من المنعة ، حيث كـانوا يـطلقون عليهـا تسميـة «شـارستـان رؤيين»[٤٦] اي المدينة الصفوية لأستحكامها . والى جانب هـذا فانهم كدسوا انواعاً متعددة من الأسلحة ، والتجهيزات الأخرى الضرورية العسكرية وغيرها . علاوة على ذلـك فانهم جمعـوا اعداداً كبيـرة من المقاتلين وبخاصة من المناطق المجاورة لبيكند ، واجـراء آخر قـام به حاكم المدينة ، هو طلب المسـاعدة من الصغـد يستنجدهم بـأرسال الأمدادات لمواجهة الجيش العربي بقيادة قتيبة . ولما بلغ قتيبة حـدود المفازة التي تقع على رأسها بيكند ، ضرب حول المدينة حصاراً محكماً ، الا انه حدث مالم يتوقعه احد ، وهو ان جيوش الصغد ضربت هي الاخرى حصاراً على الجيش العربي ، فلم يتمكن قتيبة من فتح ابواب الاسوار لشدة مناعتها ولم يستطع الأتصال بقاعدته الرئيسية مرو ، حتى بالقائد العام للعمليات الحربية الذي مقره في العراق ، بسبب قـطع جميع طرق المواصلات المؤدية الى ذلك كما انه لم يستطع كسر الـطوق الذي ضربه الصغد من حوله ، فا ستمرت الحالة لمـدة شهرين دون احراز اي نتيجة تذكر ، ولصعوبة الحالة هذه ، ولعدم وصول اي اخبار عن حملة قتيبة هذه الى مركز القيادة العامة في العراق ، ادت بالحجاج بن يوسف الثقفي ، ان يكتب الى جميع الأمصار بدعوة الناس بالدعاء في



خارطة رقم (١)
توضح تحرير مدينة بيكند
← ← ← سير قتيبة بن مسلم
المقياس بالأميال
بيكند
بخارى
سمرقند
آمل
زم
نسف
كش
كندك
باداكوير
كالف
ترمذ
بلخ
خلم
الصغانيان
باسند
شومان
نهر وخشان
الختل
الطالقان
بدخشان
نهر فارغر
نهر انديجاراغ

المساجد ، في اوقات الصلاة ، بأن يجعل النصر المؤزر لقتيبة وجيشه ، وان يكتب السلامة لهم[٤٧] .

واجه قتيبة موقفاً حرجاً ، الا ان اهل بيكند وبخارى وجموع الأمدادات التي وصلت اليهم من الصغد لم يستطيعوا الحاق اي هزيمة بقتيبة ، على الرغم من تفوقهم في العدد والعدة ، ومرجع ذلك الى براعة قتيبة في وضع الخطط الدفاعية الناجحة ، فضلاً عن الخطط الهجومية .

في هذا الموقف الصعب الذي واجهه قتيبة برزت ظاهرة طالما راودت العقول الحاقدة على العرب والاسلام منذ الأنتصار الباهر الذي حققه الجيش العربي في معركة القادسية ضد الفرس المجوس[٤٨] ، اخذ الفرس منذ تلك اللحظات مع مايملكونه من حقد تاريخي مسموم على العرب ، يتآمرون على قتيبة ، حيث كان ضمن الجيش العربي المسلم وضمن العيون شخص اسمه تندر[٤٩] . اتفق تندر مع حاكم بخارى على ان يتآمر على قتيبة ، بأن ينقل خبراً كاذباً الى قتيبة مؤداه ان الخليفة الوليد بن عبد الملك قد عزل الحجاج بن يوسف الثقفي من ولاية العراق والمشرق ، وانه عين بدله والياً جديداً ، وان الأخير سوف يعزل قتيبة ويأتي بعامل آخر لخراسان[٥٠] . والهدف من ذلك هو اضعاف معنويات المقاتلين العرب ، وتشتيت الجيش ، حتى تعم الفوضى والأضطرابات ، وعندما ينسحب سوف يكون بحالة مرتبكة وبصورة غير نظامية وعندئذ يفقد زمام الأمور من يد القائد قتيبة ، عندها يقوم العدو بالهجوم المباغت والسريع فيقضي على قتيبة وجيشه . لكن فات تندر واسياده من عبدة النار انهم امام قائد محنك ، قد اتخذ الحذر والحيطة لكل حدث طارىء ، فكان قتيبة على مايبدو قد جعل عيناً آخر

على تندر يرصد جميع تحركاته،كما يستشف ذلك من نص الهرثمي[٥١] . وبخاصة مع من يلتقي بهم ، وبلغ من دقة عمله وقوة العيون الذين كان يرسلهم ، انهم كانوا موجودين في مقر حكام العدو ، وهذا ما جعل سرعة نقل الخبر الى قتيبة عن الاتفاق الذي تم مع حاكم بخارى حول ماذكرناه آنفاً .

طلب تندر من قتيبة ان ينفرد به ، لأنه يحمل اخباراً سرية في غاية الأهمية فاخبره بذلك فجاء الرد السريع والحاسم ، بأن أمر قتيبة «سياه» احد مواليه بأن يقتل تندر بالحال ففعل ذلك . وكان ضرار بن حصين الضبي ، أحد قادة الجيش العربي حاضراً فأمره بالكتمان عما سمع من تندر ، ويظهر من هذا شدة حرص قتيبة على وحدة الصف ، ومايؤثر في معنويات المقاتلين ، حيث اخبره قائلاً : «لم يبق احد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك ، واني اعطي الله عهداً ان ظهر هذا الحديث من احد حتى تنقضي حربنا هذه لألحقتك به ، فاملك لسانك فأن انتشار هذا الحديث يفت في اعضاد الناس»[٥٢] ، وقد اخبر قتيبة الجيش ان تندر « . . . كان غاشاً فأماته الله بذنبه»[٥٣] . وطلب قتيبة من المقاتلين بذل اقصى ماعندهم من قوة ، وطلب منهم قائلاً : «فاغدوا على قتال عدوكم والقوهم بغير ماكنتم تلقونهم به»[٥٤] . والتقى الطرفان بقتال عنيف ، اظهر فيه العرب ضروباً من الشجاعة والأقدام والتضحية وبخاصة بني تميم ، وقد لقنوا عدوهم دروساً بليغة في فنون القتال وابتكار اساليب جديدة في ايقاع الهزيمة بالعدو ، وقطف ثمرات النصر ، حيث تمكن فريق من الفعلة بأمر من القائد قتيبة ، من القيام بحفر حفرة كبيرة من تحت السور ، واستمراوا بالحفر حتى وصلوا الى موضع حضيرة الدواب ، وفي الوقت نفسه تمكنوا من احداث ثغرة في

جدار السور ، وردد قتيبة مقولته : « . . بأن لكل من ينفذ من الثغرة اعطيه ديته واذا قتل اعطيها لأولاده»[٥٥] .

واستمر القتال في ذلك اليوم حتى زوال الشمس ، واخيرا فقد بانت خيوط النصر المظفر ، تظهر بكل وضوح فضلاً عن انهزام العدو الغاشم من ساحة المعركة[٥٦] . فطلبوا الصلح فأجابهم قتيبة بما ارادوا فعين لهم والياً من اسرته .

وبعد ان تم توقيع معاهدة الصلح ، توجه قتيبة الى مرو ، وقد ابتعد عن المدينة مسافة خمسة فراسخ (١٥ ميلاً) وعند مدينة خنيون وصلت اليه الأخبار ان سكان مدينة بيكند نقضوا الصلح[٥٧] ، وخرجوا على عامل قتيبة وقتلوه ، فرجع قتيبة اليهم وضرب الحصار من جديد حول المدينة ، والى جانب هذا فأن السكان قد استعدوا لمواجهة قتيبة فحاصرهم شهراً ، ولم يتمكن العرب في بدء الأمر من فتح أبواب السور الحصين لمناعته ، لذا فلابد من ايجاد وسيلة يمكن بها تدمير السور وفتح ابوابه ، وهنا ظهرت العقلية القيادية المبدعة في ابتكار كل جديد ، فأبدعت عبقرية قتيبة العسكرية مخرجاً لهذا الموقف الذي طال أمده اذ أوجد طريقة جديدة في تدمير الأسوار ، فأمر الفعلة بتعليق السور بالخشب ثم احراقه ، فيسقط السور ويهدم[٥٨] ، وهذه الطريقة لم يستخدمها احد من قبله ، وبذلك فقد سجلت في سجل الأبتكارات والابداعات في مجال الفن العسكري للعرب .

وبها تمكن المقاتلون العرب من دخول المدينة . وقد وجد قتيبة مخازن الأسلحة الكثيرة فكتب الى الحجاج يستأذنه في توزيعها على الجند فوافق الحجاج على ذلك وبعد تحرير بيكند رجع قتيبة الى مرو وقض فيها فصل الشتاء[٥٩] .

فتح نومشكت ورامثينة :

في ربيع عام ٨٨ هـ / ٧٠٦ م ، بدأت استعدادات قتيبة ، فنادى في الناس للتهيؤ للجهاد فأتته المقاتلة فقال لهم : «اني اغذيكم قبل ان تحتاجوا الى حمل الزاد وأنتقلكم قبل ان تحتاجوا الى الأدفاء»[٦٠] . يقصد قتيبة بكلامه هذا ، انه يريد جميع المقاتلين في حالة تهيؤ واستعداد ، عندما يطلب منهم الحركة والتوجه في منازلة الأعداء ، لأن تجميدهم في محل واحد مدة طويلة يؤدي بهم الى الخمول وتثبيط العزائم عن الجهاد . وهذه حالة تعبوية رائعة يعبر بها قتيبة عن أن جنده مستعدون في المعركة ومتهيئون للتوجه نحو العدو في الظروف والحالات كافة .

كان قتيبة يولي الأهتمام بطلائع جيشه وسخر لذلك الأموال الوفيرة التي حصل عليها من بيكند ، وهذا اجراء يتبعه سنوياً بعد رجوعه من حملاته ، فقد اشترى «اثني عشر فرساً من جياد الخيل واثني عشر هجيناً ، لايجاوز بالفرس أربعة آلاف فيقام عليها الى وقت الغزو فاذا تأهب للغزو وعسكر قيدت واضمرت فلا يقطع نهراً بخيل حتى تخف لحومها . فيحمل عليها من يحمله في الطلائع»[٦١] . وعندما بدأ استعداداته في نومشكت ورامثينة ، قيد الخيول وأضمرها حتى تخف شحومها ، فتكون اكثر خفة لتجاوز الأنهار والسير في الطرق الوعرة ، وكانت الطلائع من الفرسان الأشراف[٦٢] .

وعندما اكمل قتيبة جميع استعداداته عين على مرو بشار بن مسلم فعبر النهر من زم ، فاتجه نحو نومشكت[٦٣] ، ان تقدم ومباغتة قتيبة لمدينة نومشكت كان غير متوقع من قبل سكان المدينة ، وهذا ما ضيع

فرصة الأستعداد واتخاذ الأحتياطات اللازمة . وبالفعل كان تحرك قتيبة مبكراً ومفاجئاً للعدو بالظهور امام المدينة مما ادى باهالي نومشكت الى طلب الصلح ، فوافق قتيبة وانصرف عنهم(٦٤) . وواصل تقدمه نحو مدينة رامثينة فصالح اهلها(٦٥) .

يظهر ان غاية قتيبة من حملاته هذه تجاه شرق مدينة بخارى وشمالها ، عزل هذه المدينة عن بقية المدن الأخرى ، مما سهل عملية اقتحامها من جهة ومن جهة اخرى منع وصول اي امدادات عسكرية مساعدة لها من قبل الصفد أو اي جهة اخرى .

وعندما تمت السيطرة على المدينة صلحاً ، قرر الأنسحاب الى مدينة مرو ، الا ان ملك الصغد واهل فرغانة زحفوا ومعهم ملك كور مغانون ابن اخت ملك الصين(٦٦) ، وتمكنوا من الوصول الى مؤخرة الجيش وكان فيه عبد الرحمن بن مسلم وهو على الساقة ، ونتيجة لتفوق العدو في العدد والسلاح ، فأن عبد الرحمن أرسل على وجه السرعة رسولاً يخبر قتيبة بما آل اليه الموقف ، فأصدر أوامره الى عبد الرحمن بالتوقف ومناوشة العدو لحين وصول الجيش الرئيسي ، ومن جانب آخر فانه أمر الجيش بالرجوع ودخول معركة فاصلة حاسمة مع العدو ، وهذا ماحدث ، فقد استمر عبد الرحمن بالمناوشة ، وفي تلك الأثناء ظهرت طلائع قتيبة وأسرعت في مهاجمة الأعداء ، وما أن رأى المقاتلون العرب ، قتيبة حتى أرتفعت معنوياتهم القتالية(٦٧) ، وابلوا بلاء حسناً وهذا يؤكد حقيقة جوهرية هي ان حضور القائد في المعركة يحسمها ويلحق بالعدو الهزيمة القاسية .

لقد انتصر العرب المجاهدون والحقوا بالاعداء الهزيمة المرة حيث لم يستمر القتال مدة طويلة ، بل حققوا النصر بوقت قياسي وهي من

الصباح حتى الظهر[٦٨] . ورجع قتيبة مع الجيش الى مرو فعبر النهر من مدينة ترمذ ماراً بمدينة بلخ .

فتح بخارى ٩٠ هـ / ٧٠٨م :

يمكن عد جميع الحملات التي قام بها قتيبة بن مسلم ، مقدمات لهدف اكبر هو مدينة بخارى ، فمنذ عبوره جيحـون للمرة الأولى ، والتي كان يستطلع بها المنطقة وجمع المعلومات عنها ، حتى يتمكن بعد ذلك من توظيفها ضمن عسكرية واضحة يسير عليها وينفذها جـزءاً جزءاً وهذا ماحدث ، فقـد أخضع آخـرون وشومـان ، وبعدهـا في سنة ٨٧ هـ / ٧٠٥ م أخضع بيكند المدينة التي لاتبعد عن بخارى اكثر من (٤٠ كم) ، ثم فتح نومشكت ورامثينة في سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م في شرق بخارى وشمالها ، كان القائد قتيبة يستهدف من هذه الحملات كلها عزل بخارى عن بقية المـدن المجاورة من جميـع الجهات ، حتى يتمكن من توجيه ضربة قوية ، لايمكن ان تدفع او ترد الجيش العربي .

بعد رجوع قتيبة من حملته التي فتح بها نومشكت ورامثينة ، فقد عبـر نهر جيحون من تـرمذ ، متجهـاً نحو مـدينة بلخ مـاراً بمـدينـة الفارياب ، ورد كتاب الحجاج بن يوسف الثقفي يأمر فيه قتيبة بالرجوع الى وردان خذاه[٦٩] الا ان قتيبة واصل المسير حتى وصـل مرو قـاعدة الأنطلاق . فقضى فيها فصل الشتاء .

في سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ وبحلول فصل الربيع ، استعـد قتيبة للمسير الى بخارى ، حسب أوامر الحجاج . يذكر المدائني بأن قتيبة عبر نهر جيحون في سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ م من مدينة زم ، وبعد عبوره النهر واجه قتيبة جيوشاً كبيرة من اهل الصفد واهل كش وتسف في طريق

المغازة المؤدية الى بخارى ، ويبدو ان وردان خذاه ربما استعان بهؤلاء لعرقلة تقدم قتيبة الا ان قتيبة تمكن من انزال هزيمة مرة بهذه الجموع المحتشدة من الأعداء[٧٠] .

واصل قتيبة تقدمة الى بخارى ، فوصل الى مدينة خرقانة السفلى وقد اتخذ معسكراً للجيش يقع في الجهة اليمنى من وردان وقد أعد ملكها جيشاً كبيراً مجهزاً بالأسلحة وبالوسائل الحربية الأخرى كافة ، ويضم جيشه اهالي بخارى ، فضلاً عن الأمدادات التي طلبها وردان من اهل الصفد .

التقى الطرفان في معركة حامية استمرت يومين وليلتين ، تمكن قتيبة فيها من احراز النصر المظفر[٧١] . وقد اشار الشاعر نهار بن توسعة اليها قائلاً :

وبـاتـت لهـم مـنـا بخـرقـان لـيـلة
ولـيـلـتـنـا بخـرقـان أطـولا[٧٢] .

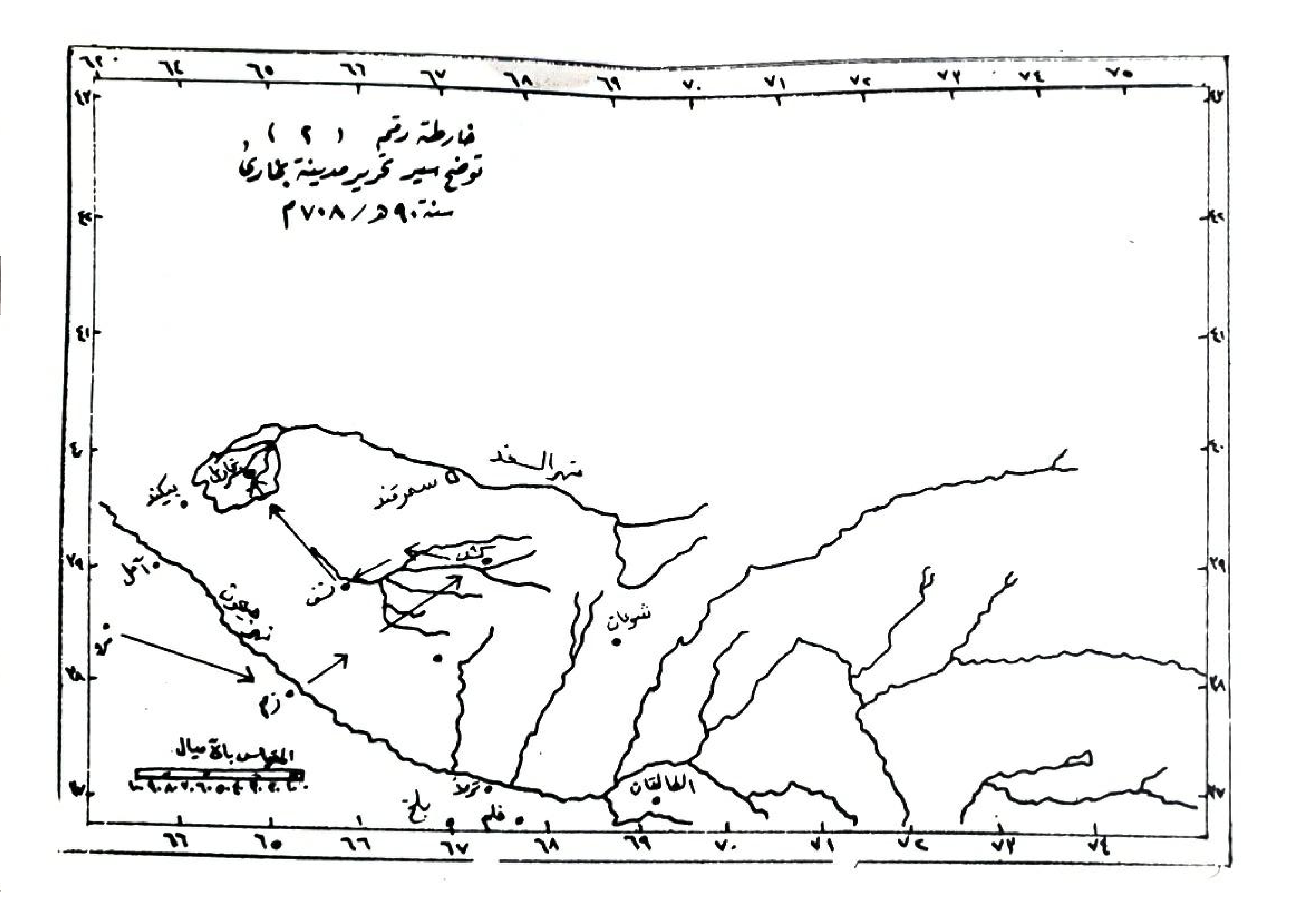
وصلت اخبار تراجع قتيبة عن بخارى الى الحجاج بن يوسف الثقفي ، والذي كتب بدوره كتاباً لقتيبة يقول فيه : «أنْ صورها لي؛ فبعث اليه بصورتها»[٧٣] ومعنى ذلك ان الحجاج طلب من قتيبة ارسال خريطة موقع المدينة ، وقد بعثها اليه ، فانكب الحجاج يدرسها دراسة مستفيضة ، حتى خرج بوضع خطة الهجوم على بخارى ، وأرسلها بكتابٍ لقتيبة «أن ارجع الى مراغتك[٧٤] فتب الى الله مما كان منك ، وأتها من مكان كذا وكذا»[٧٥] .

ان سبب عدم تمكن قتيبة من فتح المدينة في هذه السنة يرجع الى المقاومة الشديدة التي واجهها عندما عبر مع جيشه من مدينة زم ، وخاض معركة اخرى مع وردان خذاه ، فبالرغم من هزيمة وردان ،

وتحضه في المدينة ، فضلاً عن مناعة الأسوار ، والمقاومة التي ابداها جند بخارى كما ويمكن اضافة عامل الأمدادات التي وصلت من اهل الصغد وكش ونسف . كل هذه الأسباب مجتمعة منعت قتيبة من خوض معركة فاصلة او مواصلة ضرب الحصار حول المدينة ، فنراه يرجع الى مرو ، وهو ينتظر فرصة مواتية في ظروف احسن ، يمكن ان يوجه فيها ضربة قاصمة لوردان خذاه تجعله يستسلم ويطلب الصلح من قتيبة .

ان فتح المدينة المنظم المستقر لبخارى ، كان في سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م بعدما نجح قتيبة في تنفيذ خطته بالسيطرة على مناطق المجاورة لمدينة بخارى وعزلها عن تلك المناطق ، وقد وصلت تعليمات الحجاج التي يوضح فيها لقتيبة المكان الذي يبدأ منه مهاجمة بخارى . لذلك فقد استعد قتيبة ، واصدر أوامره للجيش بالتحرك ، بعد ان أعده اعداداً جيداً ، مزوداً اياه بالتجهيزات العسكرية كافة ، من سلاح وآلات الحصار والمنجنيقات .

يذكر الطبري ان قتيبة خرج من مرو سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م فعبر نهر جيحون من مدينة زم فأخضع كش ونسف فأمن بذلك خط المواصلات ، وتقدم الى مدينة وردان وبخارى(*) ، فضرب حولهما حصاراً محكماً ، وبالمقابل فإن وردان خذاه طلب النجدة من الصغد والترك ، وبقية المناطق المجاورة له ، فلبوا نداءه وتوافدت الامدادات عليه «هكذا انطلق امراء بلاد ما وراء النهر والصغد جميعاً ليشدوا من أزر بخارى هذه المرة»(٧٦) . الا ان قتيبة سبق الأمدادات التي طلبها وردان خذاه ، فحاصر المدينة وبدأت جيوش الصغد والترك محاولة الضغط على الجيش العربي لفك الحصار ، واستطاع وردان خذاه مهاجمة جيش قتيبة ، على الرغم من فرضه الحصار . اشتبك الطرفان


خارطة رقم (٢)
توضح سير تحرير مدينة بخارى
سنة ٩٠هـ/٧٠٨م
بخارى
بيكند
سمرقند
نهر السغد
كش
نسف
شومان
آمل
نهر جيحون
زم
ترمذ
بلخ
الطالقان
المقياس بالأميال

بمعركة ضارية تقدمت أولاً فرقة الأزد حيث هاجمت العدو ، وقتيبة يترقب ويدير دفة المعركة ، وهو متوشح سلاحه ، وينظر عن كثب الى نتائج القتال الا ان المشركين تمكنوا من صد هجمات الأزد ، وقد تجاوزت عدة كتائب للعدو ، دفاعات العرب المسلمين ووصلوا الى خلف المعسكر وهاجموا النساء[٣٣] ، فما كان من النساء العربيات اللاتي عرفن بالبطولة والشجاعة في مهاجمة الكتائب التي تجاوزت ، وضربن مثلاً اعلى في مشاركتهن اخوانهن المقاتلين في الدفاع عن المبادىء والعقيدة ، فكن حقاً رمزاً للبطولة .

ونتيجة لهذا الموقف اوعز قتيبة للجناحين الأيسر والايمن بالهجوم والاطباق على هذا التسلل وأبادته ابادة تامة ، وسد الثغرة التي اخترقها المشركون ، ونفذ الهجوم بكل دقة ، حتى أزالوهم عن المواضع التي تم الوصول اليها ، فنجح الجناحان نجاحاً باهراً ، وتمت مطاردة الاعداء في مواضعهم ، مما ادى بهم الى الصعود الى بعض المرتفعات المحيطة بميدان المعركة .

وصل الموقف العسكري ، بفضل الخطة التي طبقها قتيبة الى ماذكرناه آنفاً ، فطلب قتيبة من قبيلة تميم أزالة هؤلاء من المرتفعات ، والسيطرة عليها لأنها مواقع عسكرية مهمة واستراتيجية وفي الوقت نفسه للسيطرة على ميدان المعركة ، مما يسهل للعدو توجيه ضربات شديدة للجيش العربي بوسائل عديدة لهذا كان قتيبة مصمماً على السيطرة عليها وطرد الأعداء منها ، وهو أمر ضروري وبه يتغير ميزان المعركة ويصبح في صالح العرب المسلمين وتكون المدينتان قد سقطتا بيد قتيبة .

كان رئيس عشيرة تميم ، وكيع بن ابي سود ، قد طلب من افراد

قبيلته التقدم ، وكان على خيالتها هريم بن ابي طلحة المجاشعي[٧٨] ، فحث قتيبة بني تميم قائلاً : «يابني تميم انكم بمنزلة الحطيمة ، فيوم كأيامكم ، أبي لكم الفداء»[٧٩] ، ويظهر ان بني تميم مصممون على القضاء بصورة نهائية على العدو . فطلب وكيع من الفعلة نصب جسر خشبي على النهر فعبر العرب المسلمون واشتبكوا مع المشركين بقتال شديد ، وهجمت كتيبة الخيالة بقيادة هريم ، وحدث قتال بالرماح ، فتمكن بنو تميم من أزاحتهم عن مواضعهم . ونادى قتيبة : «أما ترون العدو منهزمين . . . فأتبعهم الناس»[٨٠] وجرح في هذه المعركة الخاقان وابنه . طلب اهل بخارى الصلح ، وقد تم ذلك . وبعد ان فتحت بخارى عاد قتيبة الى مرو .

من أهم نتائج فتح بخارى ، تعاظم هيبة ومنزلة قتيبة في نظر ملوك بلاد ماوراء النهر وهذا ما جعل ملك الصغد «طرخون»[٨١] ، يطلب الصلح منه .

فتح باذغيس سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م :

بعد أن نجح قتيبة في فتح بخارى ، أعاد تنظيم المدينة ، ثم رجع الى مرو ، وعند وصوله مدينة آمل طلب نيزك من قتيبة الأذن له بالأنصراف الى بلاده ، فسمح له ، وتختلف المصادر التاريخية في الداوفع التي دفعت نيزك الى الخروج عن طاعة قتيبة ، وقيامه بالتمرد وحث اغلبية أمراء طخارستان على التمرد .

إن الاسباب الحقيقية وراء هذا التمرد ، تعود الى ان نيزك ادرك أن أمله باسترجاع سلطته سوف ينتهي بتثبيت السلطة العربية في خراسان وانضمام العديد من المدن صلحاً ، وأدراكه ان الحكم العربي

سوف يمتد الى طخارستان السفلى وبخاصة بلاد جبغوية وغيـرها من المدن الأخرى .

كان نيزك قد أعلن إسلامه وسمى نفسه عبد الله[٨٢] ، واشترك مع عدد من قواته بجانب قتيبة في قتال اهل بخارى وغيرها من المدن الاخرى بعدما نجح قتيبة في فتح بخارى واعادة تنظيمها قرر الرجوع الى مـرو ، وعند وصـوله الى مـدينة آمـل استأذن نيـزك من قتيبة في الأنصراف الى بلاده فوافق على ذلك . ويشير الطبري الى ان نيزك كان يسير سيراً سريعاً حتى وصل «النوبهار ، فنزل يصلي فيه وتبرك فيه»[٨٣] . بعد ان أرتد عن الاسلام ، ومن جانب آخر فان قتيبة شعر بمخـاطر السماح لنيزك بالعدوة الى بـلاده ، وهذا مـا جعله يرسـل المغيرة بن عبد الله متعقباً نيزك ، وفي اثناء مرور المغيرة بمدينة البروقان ، تحرك نيزك بسرعة كبيرة ، فدخل «شعب خلم» واعلن خلعه لقتيبة واعلانه التمرد ، ومناداته باخراج العرب المسلمين من خراسان وبلاد ماوراء النهر . وهذا ما بدأ يخطط له ، ويعمل جاهداً على تحقيقه .

وأول عمل قام به لتحقيق مآربه ، هو مكاتبته لعدد من ملوك المنطقة فقد كتب الى اصبهيذ بلخ ، وباذام ملك مرو الروذ ، وسهرب ملك الطالقان ، وترسل ملك الغارياب والجوزجاني ملك الجوزجان ، يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه وواعدهم الربيع في الأجتماع والهجوم على قتيبة[٨٤] .

وفي الوقت نفسه كتب نيزك الى «كابل شاه» يطلب منه الموافقة على قبوله لاجئاً فيما اذا انهزم امام العرب المسلمين ، على ان يرسل اليه امواله وأهله فوافق ملك كابل على طلب نيزك . ويبدو ان جيفويه ملك طخارستان قد عارض نيزك فيما اقدم عليه ، فأخذه الأخير وقيـده ،

وفرض عليه مراقبة شديدة لمنعه من الأتصال مع اي حاكم لمنطقة طخارستان السفلى ، لحثهم على مقاومة نيزك .

وبعد الأستيلاء على بلاد جيفويه طرد عاملها محمد بن سليم الناصح . وصلت الاخبار بتمرد نيزك ، وكان الشتاء قد حل ، وان جميع الجند قد انصرفوا الى بلدانهم ولم يبق مع قتيبة الا اهل مرو ، فلم يتمكن قتيبة من اتخاذ اي اجراء رادع تجاه نيزك ، الا انه ارسل اخاه عبد الرحمن الى البروقان ومعه اثنا عشر الف مقاتل وقال له «اقم بها ولا تحدث شيئاً فلذا أحسر الشتاء فعسكر وسر نحو طخارستان ، واعلم اني قريب منك»[85] .

بهذه الحركة السريعة ضيع قتيبة الفرصة على نيزك بالتحرك ومباغتة الجيش العربي ، واحتلاله المناطق الاستراتيجية المهمة ، التي تلعب دوراً كبيراً في فرض الحصار والاتصال باي طرف من الأطراف التي تمت المراسلة معه بالخروج على السلطة العربية ، واتباعاً لأسلوب وقائي كتب قتيبة الى «ابرشهر وبيورد وسرخس ، واهل هراة ليقدموا قبل أوانهم الذي كانوا يقدمون عليه فيه»[86] . ان المقاتلين الذين وصلوا بسرعة كبيرة لم يكن كلهم من السكان المحليين ، بل كان معهم المقاتلون العرب من سكنة هذه المدن ، لأن الجيش العربي تفرق قبل ان يعلن نيزك تمرده .

تحرك قتيبة باتجاه الطالقان ، متخذاً طريق مرو الروذ ، فوصلت اخبار تقدمه الى ملك مرو الروذ ، وهرب الى بلاد فارس ، وواصل الزحف الى الطالقان وتختلف الروايات في تحديد تاريخ تحرير المدينة ، فالطبري يورد روايتين مختلفتين في تفصيلاتها ففي الاولى يقول انه تم فتح المدينة في اواخر فصل الشتاء سنه ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، وان اهل

المدينة تصدوا الجيش قتيبة . وتمكن الأخير من الحاق الهزيمة بهم وفتح المدينة . والرواية الأخرى تجعل فتح الطالقان سنة ٩١ هـ / ٧٠٩ م ، وان قتيبة لم يجابه اي مقاومة تذكر وانه عفا عن ملكها ، ونشر الأمن والاستقرار بعدما وصلت اليه معلومات بان هناك عدداً من اللصوص يعبثون بالأمن ونشر الرعب بين السكان[٨٧] .

ان هؤلاء اللصوص قتلهم قتيبة ، وهو اجراء ضروري في الضرب على ايدي كل من تسول له نفسه العبث بالأمن وتعريض حياة الناس الى الخطر ، ثم عين عمرو بن مسلم عاملاً على الطالقان .

واصل قتيبة تقدمه الى الفارياب ، فخرج اليه ملكها عارضاً الصلح فوافق قتيبة وعين رجلاً من باهلة عاملاً عليها . وصلت الأخبار الى ملك الجوزجان بأن قتيبة متوجه نحو بلاده ، فهرب الى الجبال وخرج اهل الجوزجان معلنين الولاء ، فعفا قتيبة عنهم واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني . واستمر القائد قتيبة في تقدمه حتى وصل الى مدينة بلخ فاستقبله الأصبهبذ ومعه اهل بلخ ، فاقام فيها يوماً واحداً . وكان عبد الرحمن بن مسلم يتبع نيزك من مدينة الى اخرى ، مدخل شعب خلم فعسكر في دخل الشعب ، حتى جاء قتيبة وقد اتخذ نيزك معسكراً له بيغلان[٨٨] ، وشدد الاجراءات الأمنية ، حيث وضع على مدخل الشعب ، عدداً من الجنود يحرسونه ، ووضع كذلك قسماً من الجنود خلف الشعب ، وبدأ قتيبة بتنظيم عدة هجمات قوية كان الغرض منها الاستيلاء على مدخل الشعب ، الا انها كانت بلا جدوى فقد صمد أصحاب نيزك[٨٩] ، واستمرت هذه الحالة اياماً دون احراز أي نتيجة ، فضلاً عن هذا فان قتيبة لايعرف اي طريق آخر يؤدي الى داخل القلعة ، الاطريقاً واحداً هو الشعب ، وكانت الصحراء

لاتسمح بتقدم الجيش ، وبقي على هذا الوضع يفكر في ايجاد وسيلة يمكن بها دخول الجيش الى داخل القلعة . وفي اثناء ذلك جاء ملك الروب ، وسمنجان واسمه الروب ، طالباً الأمان مقابل ان يدل قتيبة على طريق يؤدي به الى دخول الشعب ومطاردة نيزك والقضاء عليه ، فتمكن العرب المسلمون من ابادة القوة التي أوكلتْ اليها مهمة الدفاع عنه[٩٠] .

وبعد الأستيلاء على الشعب وبضمنها القلعة ، تقدم الى سمنجان كما ذكرت كان نيزك معسكراً في بغلان في موقع يشرف على عين ماء تدعى فنج جاه .

عندما وصلت انباء وصول عبد الرحمن بن مسلم الى بغلان خرج نيزك من معسكره ، بعد أن أرسل اثقاله وأمواله الى كابل شاه ، واتجه الى الكرز ودخله ولايوجد اي طريق آخر للكرز إلا من جهة واحدة لايمكن سلوك طريقها لوعورتها وصعوبة المسير فيها ، ونزك قتيبة محاصراً نيزك ، واستمر حصاره شهراً ، بدأ فصل الشتاء يطل ، وهذا ماجعل الموقف اكثر صعوبة لاسيما وان الحصار قد طال أمده ، دون احراز اي نتيجة تذكر فعمل قتيبة على استدراج نيزك ، من موضعه حيث نجحت الخطة التي وضعها قتيبة في التخلص من نيزك ، والقضاء على تمرده .

من اهم نتائج القضاء على تمرّد نيزك ، هو سيطرة قتيبة على طخارستان ، كما واصبحت بلاد جيفويه ولأول مرة جزءاً من الدولة العربية الأسلامية ، كذلك القضاء على مشروع نيزك .

فتح شومان وكش ونسف (٩١ هـ / ٧٠٩ م) :

اعلن فيلسنشب باذق ملك شومان تمرده على السلطة العربية منتهزاً فرصة انشغال قتيبة في معالجة تمرد نيزك . فطرد عامل قتيبة وامتنع عن دفع الجزية التي حددت بموجب الصلح ، وحاول قتيبة في أول الأمر أن يتحاشى التصادم معه ، فأرسل اليه وفداً برئاسة عياش الغنوي ، لينصحه بدفع ما اتفق عليه في وثيقة الصلح فضلاً عن افهامه أن عصيانه وتمرده لايخدم مصالحه ابداً[٩١] . فما كان من الملك الا ان امر جنده بقتل رئيس الوفد ، فهجم الجند على عياش فتصدى لهم وقاتلهم قتال الأبطال ، ولم يستسلم لهم ، وبقي يصارعهم ، حتى تسلل اليه احد اتباع الملك من الخلف وقتله .

وصلت اخبار مقتل عياش الغنوي الى قتيبة ، فقرر المسير الى شومان ، متخذاً طريق مدينة بلخ ، فوصل اليها وأقام فيها مدة لحين مجيء الوفد الثاني الذي أرسله الى ملك شومان برئاسة صالح بن مسلم ، وكان الاخير صديقاً لملك شومان وقابل المبعوث الملك وعرض عليه ما أملاه قتيبة ، من الرجوع الى الطاعة ودفع الجزية المتفق عليها في الصلح ، فرفض هذا العرض وأصر على الأستمرار بالتمرد ، واجاب رسول صالح : «ماتخوفني به قتيبة ، وانا امنع الملوك حصناً ارمي اعلاه ، وانا اشد الناس قوماً واشد الناس رمياً ، فلا تبلغ نشابتي نصف حصني ، فما اخاف من قتيبة» .

رجع المبعوث الى قتيبة واخبره بما قاله ملك شومان فقرر قتيبة عبور نهر جيحون ، فسار من مدينة بلخ ، فترمذ (ترمز) ، ومنها عبر قتيبة بجيشه وواصل المسير حتى اقترب من مدينة شومان[*] ، فوجد ملكها وقد اتخذ الأستعدادات لمواجهة هجوم قتيبة فأصدر أوامره بتقديم

المجانيق ، وكان احدها يسمى «الفحجاء» ويبدو ان هذا المجنيق من الضخامة والقوة ، بحيث تم بواسطته تحطيم السور والتحصينات التي عملها سكان المدينة ، ومن جملة ما وقع من الحجارة على المدينة «فوقع حجر منها في مجلس الملك فأصاب رجلاً فقتله»[٩٢] .

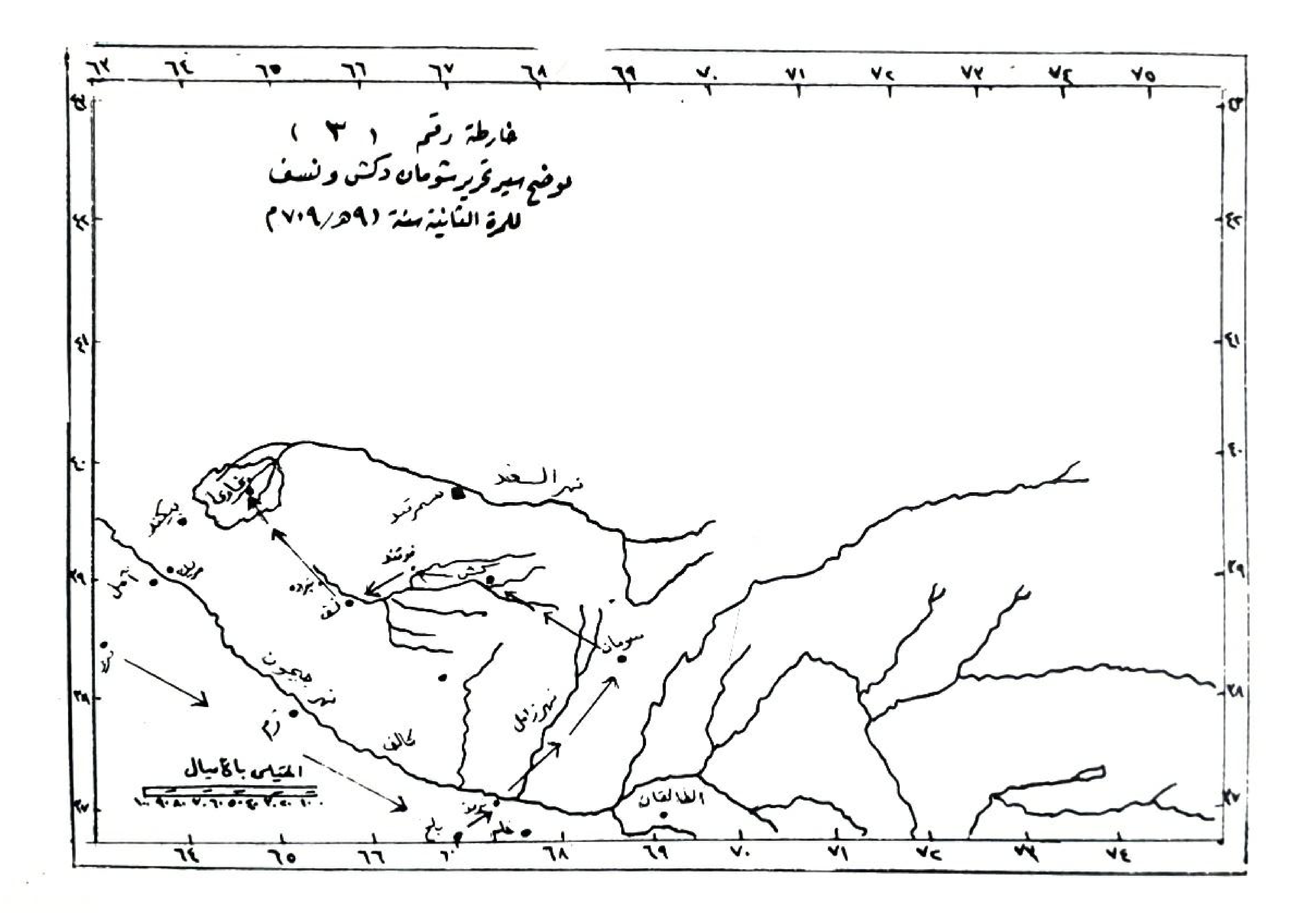
بعد ان فتحت شومان للمرة الثانية ، اتجه الى مدينة «الباب الحديدي» فاستسلمت دون مقاومة ، ثم سار الى كش فدخلها دون مقاومة ، وواصل تقدمه الى مدينة نسف ، فاستسلمت بدورها لقتيبة دون قتال ، وتابع زحفه الى الفارياب فاقتحمها .

ومن مدينتي نسف وكش ارسل قتيبة اخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكها انذاك طرخان ، فقبض عبد الرحمن المال منه ، حسب الصلح المتفق عليه مع قتيبة ، ورجع الى اخيه في بخارى ، وانصرفوا جميعاً الى مرو[٩٣] .

بعد فتح مدينة شومان وكش ونسف والباب الحديدي ، اصبح الجزء الواقع شمال نهر جيحون وجنوب نهر الصغد جزءاً من الدولة العربية الأسلامية[٩٤] .

وبقي رتبيل ملك سجستان في مأمن من هجوم قتيبة ، منذقدومه خراسان سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، وحتى عام ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، كما استمر رتبيل بدفع الجزية التي صالح عليها العرب المسلمين ، لكنه ارتكب خطأ بموافقته على تسلم اموال نيزك واثقاله فضلاً عن استقبال عائلته في حالة اندحاره امام قتيبة[٩٥] .

يذكر ابن اعثم انه نتيجة الهجمات الناجحة لقتيبة على بعض مدن رتبيل وعلم الأخير انه لايقوم لقتيبة ، والا لأصحابه فأرسل اليه يسأله الصلح فأجابه قتيبة الى ذلك فتم عقد الصلح بينهما .


خارطة رقم (٣)
موضع سير تحرير شومان وكش ونسف
للمرة الثانية سنة ٩١هـ/٧٠٩م
نهر السغد
سمرقند
بخارى
بيكند
فرير
آمل
نوقد
نسف
بزدة
كش
شومان
نهر جيحون
زم
نهر زامل
الطالقان
ترمذ
خلم
بلخ
المقياس بالأميال

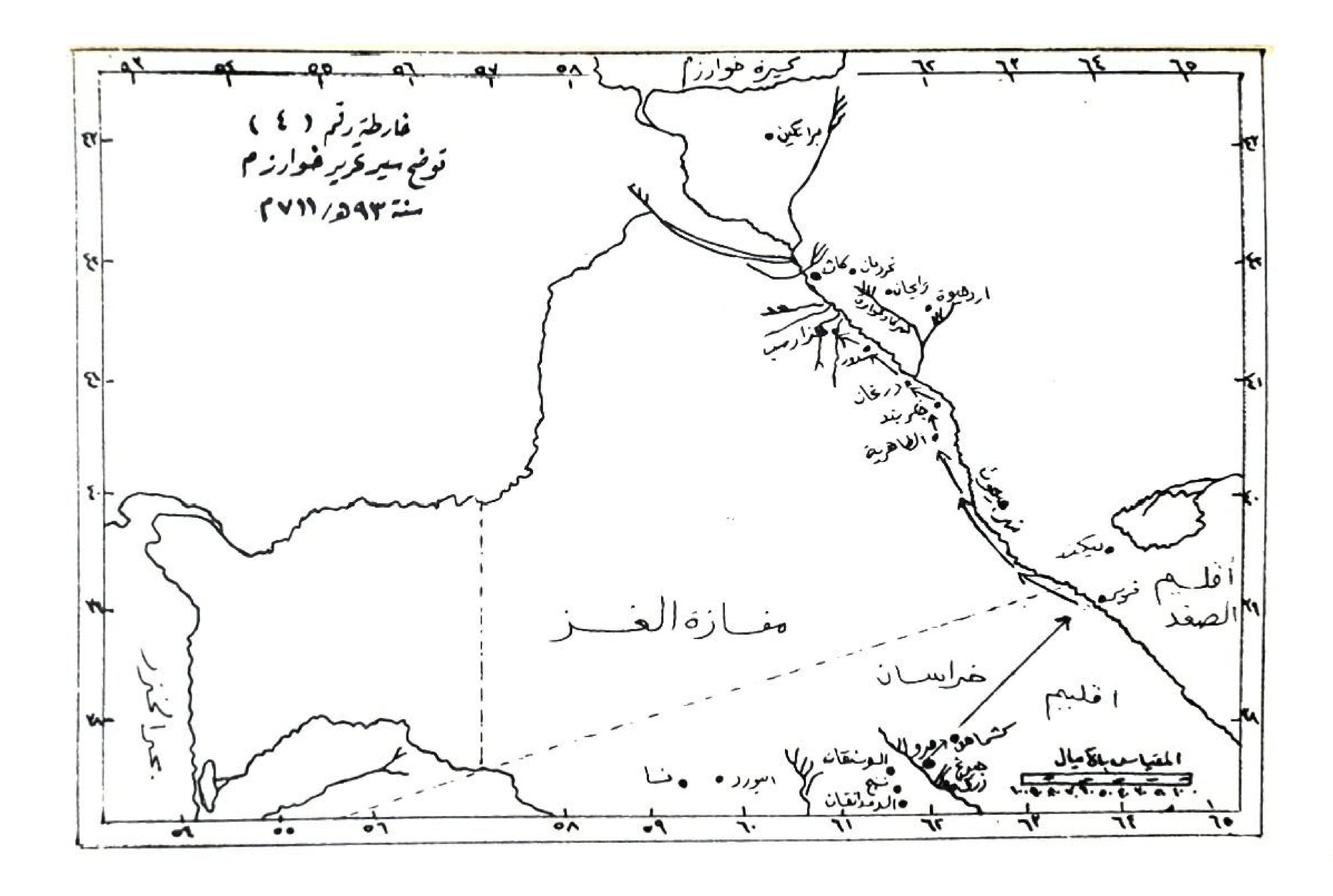
فتح خوارزم (٩٣ هـ / ٧١١ م) :

في نهاية فصل الشتاء من سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م ، كان قتيبة قد اتم جميع استعداداته العسكرية ، فقدم عليه المقاتلون من جميع المدن ، حيث توافدت الى مرو مع بداية فصل الربيع ، وهو الموعد الذي يخرج فيه للعمليات العسكرية وكان هدفه في هذه المرة بلاد الصغد الا انه حدث تغير مفاجىء في خطته فاتجه الى بلاد خوارزم .

تختلف المصادر التاريخية في توضيح هذا التغير المفاجىء في خطته . فاليعقوبي يذكر ، ان حاكم خوارزم (سعيد بن دنونار) ، قتل عامل قتيبة المعين على بلاده فعلم قتيبة بهذا الأمر ، فجهز جيشاً وتقدم الى خوارزم وحاصرها ، وقد تمكن من قتل سعيد بن ونونار ، وأعاد تنظيم البلاد[٩٦] .

واصل قتيبة زحفه متخذاً الطريق المحاذي للنهر في أول وهله ، الا انه غير طريقه وسار مسرعاً ، فظهر فجأة في مدينة هزارسب . ان نزول قتيبة في هزارسب نذير بأثارة سكان بلاد خوارزم ، وقد استشار خوارزم شاه شعبه في الخروج للقتال فقال : «ماترون ؟ قالوا نرى ان نقاتله»[٩٧] . وأجاب خوارزم شاه شعبه قائلاً : «لكني لاأرى ذلك وقد عجز عنه من هو اقوى منا واشد شوكة . . ., قالوا : ورأينا رأيك»[٩٨] .

زحف خوارزم شاه بجيشه ونزل مدينة الفيل ، احدى مدن خوارزم الثلاث وهي ذات اسوار حصينة ، وموقع استراتيجي مهم . وفي الوقت نفسه ذات موقع دفاعي حصين ، ولم يجتز خوارزم شاه نهر


خارطة رقم (٤)
توضح سير تحرير خوارزم
سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م
بحيرة خوارزم
مفازة الغز
خراسان
اقليم
اقليم الصغد
المقياس بالاميال
براتكين
كاث
اردخشوه
هزارسب
الطاهرية
بيكند
الوسنقان
الرمذقان
نسا
ابيورد

جيحون وبالمقابل فان قتيبة هو الآخر اتخذ مدينة هزارسب معسكراً له ، وبدوره لم يعبر النهر ايضاً ، وقد تم عقد الصلح بين الطرفين .

يذكر الطبري ان قتيبة دخل مدينة الفيل ، وقبض الأموال التي صالح عليها خوارزم شاه ورجع الى هزارسب وعين عاملاً عليها هو أياس بن عبد الله بن عمرو وطلب بعض خاصة قتيبة في هذه السنة - ٩٣ هـ / ٧١١ م - الرجوع الى مرو ، طلباً للراحة ، الا ان قتيبة رفض ذلك ، لأن لديه هدفاً اكبر يريد تحقيقه وهو فتح بلاد الصغد .

ان اتجاه قتيبة الى بلاد خوارزم وفتحها لم يكن سببه الوحيد هو الطلب الذي تقدم به خوارزم شاه الى قتيبة ، انما هناك دوافع اخرى نذكر منها : ان خوارزم تقع في الجزء الشمالي الغربي من بلاد الصغد وبخارى فاذا تم فتحها ، فانه سوف يؤمن جزءاً مهماً ربما يكون عوناً لبقية مدن ماوراء النهر .

ودافع آخر هو استخدام بعض القطعات العسكرية الخوارزمية بجانب الجيش العربي في قتاله مع اهل الصغد . ويمكن اضافة عامل آخر هو اشعار اهل الصغد بأن العرب يزدادون قوة يوماً بعد يوم ، ودخول الكثير من المدن المهمة تحت السيادة العربية .

ان خوارزم شاه تمرد على السلطة العربية مستغلاً بعض الظروف ، اذ ان قتيبة عندما زحف الى سمرقند ، عين اياس بن عبد الله بن عمرو عاملاً على خوارزم وعين عبد الله بن ابي عبيدالله ، احد موالي بني مسلم عاملاً على الخراج .

ما كان من خوارزم شاه الا ان اعلن العصيان والتمرد ضد السلطة العربية المتمثلة بعاملها أياس ، فكتب الأخير الى قتيبة يخبره بما آلت اليه خوارزم فقرر قتيبة عزل اياس من منصبه وتعيين عبد الله بن

مسلم عاملاً لخوارزم(١٠٠) . وقد ابقى قتيبة عبيد الله بن ابي عبيد الله عاملاً على الخراج بجانب عبد الله ابن مسلم .

على الرغم من تغير عامل خوارزم ، فقد استمر سكان خوارزم بالتمرد ، يقودهم خوارزم شاه ، ونتيجة لهذا فان قتيبة ارسل جيشاً بقيادة المغيرة بن عبد الله فخرج خوارزم شاه بجيشه لملاقاة المغيرة الا انه حدث امر هام لم يتوقعه خوارزم شاه ، هو اعتزال اعداد كبيرة من الجند الذين قتل اباءهم من قبل والذين كانوا مع خرزاد . فرأى خوارزم شاه ان جيشه قد اصابه التفكك والأنحلال ، فهرب الى بلاد الترك فدخل المغيرة المدينة ، فقضى على مقاومة بعض الجند .

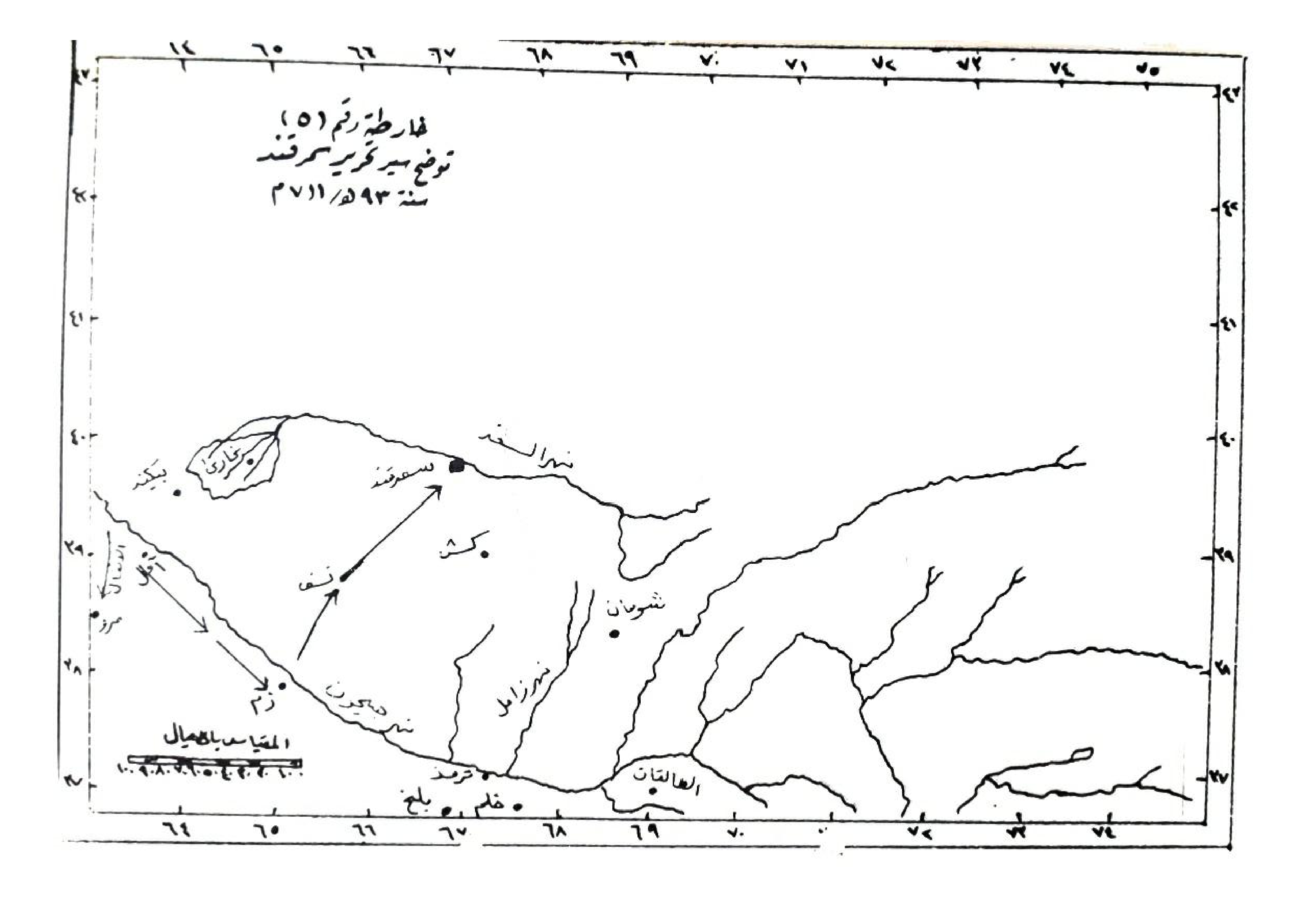
طلب الباقون الصلح واعادة ماكانوا يدفعونه من الجزية ، فوافق المغيرة واخذ الجزية واعاد ادراجه الى مقر قيادة قتيبة ، وعند وصوله كافأه قتيبة على النجاح الذي حققه في قضائه على تمرد اهل خوارزم ، فعينه عاملاً على نيسابور(١٠١) .

فتح سمرقند (٩٣ هـ / ٧١١ م) :

بعد ان فتحت خوارزم صلحاً ، واستقرت الأمور فيها ، قام قتيبة بأعادة تنظيم قطعاته العسكرية ، واتخذ الترتيبات اللازمة في الزحف نحو هدفه الآخر ، وهو فتح سمرقند . وكان مايدور في راسه بهذا الشان هو نفس ماكان يخطط له احد قادته وهو المجشر بن مزاحم السلمي ، حيث جاء قتيبة ، واخبره بأن لـه امراً مهماً ، وهو يـريد الأخلاء ، فاخلاه ، فقال المجشر : «ان اردت السغد يوماً من الدهر الآن ، فانهم آمنون من ان تاتيهم من عامك هذا ، وانما بينك وبينهم عشرة ايام»(١٠٢) . وبما انه قد عرف عن قتيبة ، شدة الكتمان والسرية

المتناهية في اتخاذه القرارات المهمة ، فقد رد عليه قتيبة «أشار بهذ عليك احد ؟ قال : لا قال : فأعلمتهُ أحداً ؟ قال : لا ، قال : والله لئن تكلم به احد لأضرب عنقك»[١٠٣] . اراد قتيبة ان يفاجىء سكان سمرقند لمنع مايمكن منعه من اتخاذ الترتيبات والأستعداد لمواجهة الجيش العربي ، لذلك فقد قدم اخاه ومعه الفرسان والرماة والاثقال ، وأمرهم بالمسير الى مرو ، فتحرك عبد الرحمن ، متخذاً طريق مرو[*] . واكد مرة ثانية على السرية التامة في قراراته لدرجة ان اخاه لم يعرف بما كان يخطط له قتيبة . واصل عبد الرحمن السير لمدة يوم كامل وفي المساء جاءته رسالة من قتيبة يأمره ، بان يرسل الأثقال الى مرو ، ويسير هو ومن معه من الفرسان والرماة نحو سمرقند ، ويشدد على كتمان الأمر ، ويذكر قتيبة في رسالته ايضاً انه يسير وراء عبد الرحمن ، ونفذ الأخير بما أمره قتيبة ، فاتجه نحو سمرقند .

بعد هذه الخطوة ، قام قتيبة فالقى خطبة مهمة حث الجيش فيها على الجهاد فقال : «ان الله قد فتح لكم هذه البلاد في وقت الغزو فيه ممكن ، وهذه السغد شاغرة برجلها قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ، متعونا ماكنا صالحنا عليه طرخون . وضعوا به ما بلغكم ، وقال الله : (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) ، فسيروا على بركة الله ، فاني ارجو ان يكون خورازم والسغد كالنضير وقريظة[١٠٤] ، وقال الله (واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها) . ان خطبة قتيبة وثيقة مهمة تبين دوافع فتح سمرقند ، اذ مرَّ بنا ، بعد فتح شومان وكش ونسف للمرة الثانية ، ارسل قتيبة أخاه عبد الرحمن الى طرخون لقبض ماتم عليه الصلح ، وعندما رجع الى بلاده ، عزلوه عن منصبه وعينوا بدلاً منه غوزك ، واختلفت الروايات بشأن مقتل طرخون[١٠٥] .



خارطة رقم (٥)
توضح سير تحرير سمرقند
سنة ٩٣هـ/٧١١م
بخارى
بيكند
سمرقند
نهر الصغد
كش
نسف
شومان
نهر زامل
نهر جيحون
زم
آمل
مرو
ترمذ
خلم
بلخ
الطالقان
المقياس بالأميال

يظهر من النص ان غوزك ، امتنع عن دفع الجزية ، نقض العهد وعد الصلح ملغياً ، واصبح بذلك يشكل خطراً على العرب المسلمين ، ويهددهم في اي لحظة مواتية ، وهذا ماعجل بقتيبة على المسير نحو سمرقند لأجل القضاء على غوزك ، اضافة الى نشر الاسلام في تلك الربوع .

وبعد القاء خطبته وحثه لجنده على الجهاد والمسير الى سمرقند وكان قد سبقه عبد الرحمن بن مسلم في عشرين الف مقاتل ، وعسكر بالقرب من المدينة وبعد مضي ثلاثة ايام ، وصل قتيبة ومعه المقاتلون من اهل بخارى وخوارزم ، وبدأ في محاصرة سمرقند(١٠٦) ، وبدأت سلسلة من المعارك العنيفة ، فأثبت اهل الصغد في مواقعهم الدفاعية ، واستمر الحصار لمدة شهر ، وخاف اهل الصغد من اطالة امد الحصار ، فكتب غوزك الى ملك الشاش وأخشاذ فرغانة : «ان العرب ان ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما اتو به . فانظروا لانفسكم»(١٠٧) . ويبدو ان غوزك لم يكتف فقط بأن طلب المساعدة ، بل ارسل اليهم الموقف العسكري ، وكافة المعلومات الأخرى المتعلقة بالجيش العربي الاسلامي ، والدليل على مذهبنا اليه ، جواب ملك الشاش وفرغانة : «ارسلوا من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم» .(١٠٨) وفعلاً فقد انتخب المقاتلين الأبطال والفرسان من ابناء المرازبة والأساورة وشكلوا منهم قوة(١٠٩) ، ارسلت لمباغتة الجيش العربي ، لفك الحصار عن المدينة ، وتقدموا باتجاه معسكر العرب المسلمين . الا ان قتيبة ، لم يعطهم الفرصة ، اذ وصلته الأخبار ، بما خطط له اهل الشاش وفرغانة ، ولكي يجنب قتيبة العرب المسلمين مثل هذا الهجوم المفاجىء ، فقد اعد خطة محكمة ، انتخب من المقاتلين العرب الأبطال ممن عرفوا بالمواقف البطولية ، وكان

عدد الذين وقع عليهم الأختيار بين (٣٠٠ - ٦٠٠) مقاتـل)[١١٠] وامر عليهم اخاه صالح بن مسلم وشرح لهم الخطة ، وهي : عند اقتراب العدو لمسافة ليست ببعيدة عن معسكر العرب المسلمين يقسم صالح المقاتلين الى ثلاثة فرق قتالية ، فرقة في اليمين ، والأخرى في اليسار وجعلهما كميناً ، والثالثة في الوسط تشتبك مع قوة الأعداء ، وعندما يحتـدم القتـال يخـرج الكمينـان فيـطبق عليهم من جهـة اليمـين واليسار[١١١] .

سـار صالـح مع المقاتلين، ووضـع عيونـا يـأتـون اليـه بخبـر قدومهم ، وعندما ابلغوه ، كمن لهم على بعد فرسخين منهم ، ونفذ صالح الخطة بكاملها ، زحف الاعداء على معسكر العرب المسلمين ولم يشعروا ماخطط لهم قتيبة من امرٍ ، واثناء تقدمهم شاهدوا صالحاً ، فهجموا عليه واشتـد القتال ، عنـدها خـرج الكمينان فـأطبقا عـلى الأعداء ، وانزلوا فيهم قتلاً ولم يفلت منهم الا من وقـع في الاسر أو هرب[١١٢] .

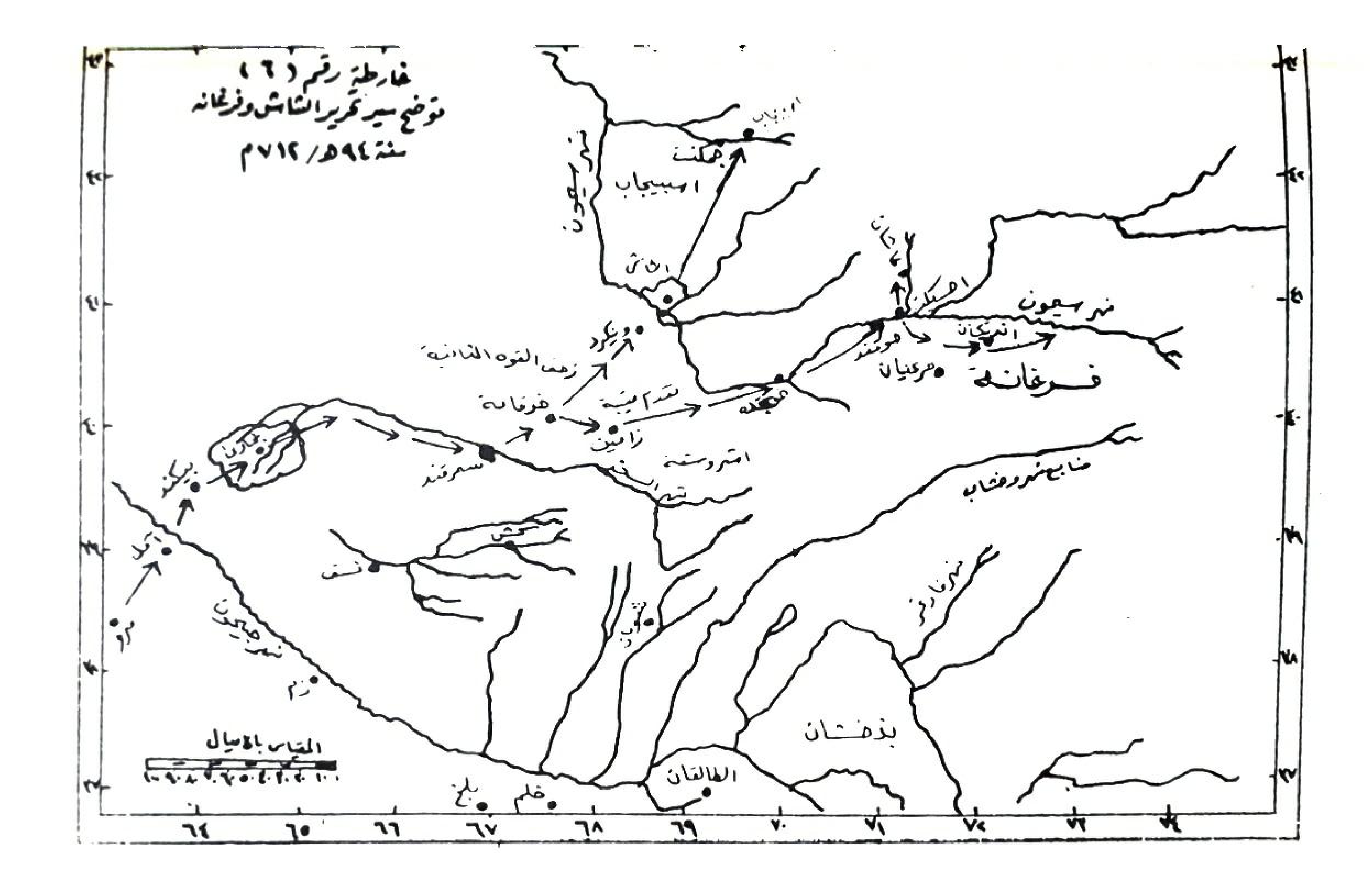
شدد قتيبة الحصار عل سمرقند ، خصوصاً بعد فشل الهجـوم الليلي الذي كان قد اعده اهل الشاش وفرغانة ، فوضع قتيبة مجموعة المجانيق لدك سور المدينة ، وقد اصر قتيبة عل هدم السـور ودخول المدينة ، فاراد غوزك ان يقوم بعملية لعله يأتي بنتيجة ما حسب ظنه ، ويفك الحصار ، لغاية وصـول الأمدادات التي وعـد بأرسـالها اهـل الشاش وفرغانة ، فأرسل الى قتيبة قائلاً : «انما تقاتلني باخوتي واهل بيتي من العجم فاخرج إليَّ العرب[١١٣]» .

فاستجاب قتيبة لطلبه فعزل المقاتلين من اهل بخارى وخوارزم من الجيش وانتخب الابطال ، وكان العرفاء يميزون المقاتلين ، فاتخذ

قتيبة الاستعدادات اللازمة ، فجهزهم باحسن السلاح ، والمعدات القتالية الاخرى ، وبعد اتمام العملية ، زحف بهم ، وقاتل الاعداء ، قتال الأبطال وبجانب صنف الخيالة يوجد «الرجالة» ويعني بهم المشاة ، كانت المجانيق بدورها في دك الاسوار فأستطاعت ان تحدث ثغرة في جدران السور ، الا ان سكان سمرقند تمكنوا من سدها بقرار الدخن . ووصل الياس ببعض مقاتلي الأعداء ان وقف احدهم على ثلمة السور ، واخذ يشتم قتيبة ، فنادى قتيبة فيمن حوله من الرماة ، طالباً اثنين منهم ، فقال لهم : «ايكما يرمي هذا الرجل . . . فرماه فلم يخطىء عينه»[114] .

شدد العرب المسلمون من ضرباتهم حتى تمكنوا من ثلم السور مرة ثانية ، فتقدم المشاة ، وكانت الأوامر من قتيبة الأستمرار بالزحف والعبور من على الثلمة ، وبالمقابل فان اهل الصغد بدأوا برمي النشاب بكثافة كبيرة ، مما ادى بالمقاتلين العرب المسلمين أن يضعوا الترس على عيونهم واخيراً تمكن المقاتلون من الوصول الى ثلمة السور ، ونتيجة لهذا فان الصغد طلبوا الصلح[115] ، فتم عقده في اليوم الثاني .

بعث قتيبة ممثلين عنه في قبض ماصالحوا عليه ، وكانوا عشر اشخاص من كل خمس[116] شخصين ، وأدوا المهمة بكل نجاح . وكان قتيبة قد طلب من غوزك ان يخلوا المدينة ، ويتم بناء مسجد له لأداء الصلاة والقاء خطبته . ودخل مع قتيبة مدينة سمرقند أربعة آلاف مقاتل أنتخبهم بنفسه . فأدى الصلاة والقى الخطبة[117] . وقام قتيبة ببعض الآجراءات الأمنية ، وتنظيم المدينة ، واستعد للرجوع الى مرو بعد ان عين اخاه عبد الله بن مسلم عاملاً على سمرقند وترك معه قوة من الجيش مجهزين بكافة التجهيزات العسكرية .



خارطة رقم (٦)
توضح سير تحرير الشاش وفرغانة
سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م
اسبيجاب
الشاش
نهر سيحون
فرغانة
سمرقند
بخارى
بيكند
آمل
مرو
نهر جيحون
زم
ترمذ
الطالقان
بذخشان
منابع نهر وخشاب
نسف
كش
شومان
اشروسنة
زامين
فرغانة
زحف القوة الثانية
ونيكرد
خجندة
كاسان
اخسيكث
مرغينان
اوزكند
المقياس بالاميال

فتح الشاش وفرغانة (سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م) :

في ربيع عام ٩٤ هـ / ٧١٢ م ، انطلق قتيبة نحو الشاش وفرغانة لفتحها حسب الخطة المتفق عليها مع الحجاج بن يوسف الثقفي .

ان المعلومات التي توردها بعض المصادر التاريخية الأساسية مثل خليفة بن خياط ، والبلاذري ، هي في الحقيقة معلومات مختصرة جداً لاتعطي صورة شاملة لواقع الفتح ودوافعه والطريق الذي سلكه قتيبة الى هذه المنطقة ، ناهيك عن سير المعارك[١١٨] .

ان المعلومات التي وصلت الينا عن فتح الشاش وفرغانة ، جاءت من الروايات المفصلة التي ذكرها الطبري ، وابن اعثم ، ولو ان الأخير يتحدث عن فتح فرغانة فقط وان قتيبة وصل الى شّعب عصام ، دون ان يعطي المزيد من التفاصيل عن المدن الأخرى التي فتحها قتيبة ، اثناء تقدمه في هذه المنطقة[١١٩]، وهناك مجموعة ثالثة من المصادر التاريخية[١٢٠] اعادت ماذكره الطبري والبلاذري وابن اعثم .

ان دوافع الحملة هي : القضاء على ماتبقى من المدن الحصينة والتي تمثل معقلاً خطراً على وجود العرب المسلمين في بلاد ماوراء النهر بصورة خاصة ، وخراسان بصورة عامة ، وقطع اي اتصال بين فرغانة والشاش وبين الصين ، لمنع وصول الأمدادات العسكرية فيما لو طلب سكان فرغانة والشاش المساعدة وفضلاً عن هذا كان ضمن آهداف قتيبة جعل كل هذه المدن قواعد عسكرية تمد الجيوش العربية الاسلامية في اندفاعها نحو الشرق وعامل آخر وهو من العوامل المهمة ، ان فتح هذه المنطقة يعد استكمالاً واستحضاراً لحملة كبيرة لفتح الصين وهذا

ما ينشده قتيبة .

يذكر المدائني ان قتيبة تحرك من مرو متجهاً الى بخارى ، وقد اجتاز النهر من مدينة آمل مارا ببخارى وسمرقند[١٢١] ، ومنها بدأ بتطبيق خطته وهي التقدم على المدينتين في آن واحد ، وعليه فقد قسم جيشه على قسمين قوة مؤلفة من عشرين الف من المقاتلين العرب المسلمين ، ومعهم مقاتلون من بخارى وكش ونسف وخوارزم أرسلهم الى الشاش[١٢٢] ، وتكون نقطة الألتقاء في فرغانة . والقوة الثانية تحت قيادة قتيبة سارت الى فرغانة ، وتقدمت من سمرقند حتى وصلت مدينة خجَنّدة[١٢٣] ، ويظهر ان سكان المدينة استعدوا لملاقات الجيش العربي ، وكانت المقاومة شديدة نتج عنها معارك عديدة ، وقد حقق قتيبة نصراً كبيراً على جيوش خجندة وتم فتح المدينة[١٢٤] ، وواصل زحفه حتى وصل فرغانة فحاصرها وتمكن من فتح قلاعها . وسار نحو شمال فرغانة حتى وصل مدينة كاشان .[١٢٥]

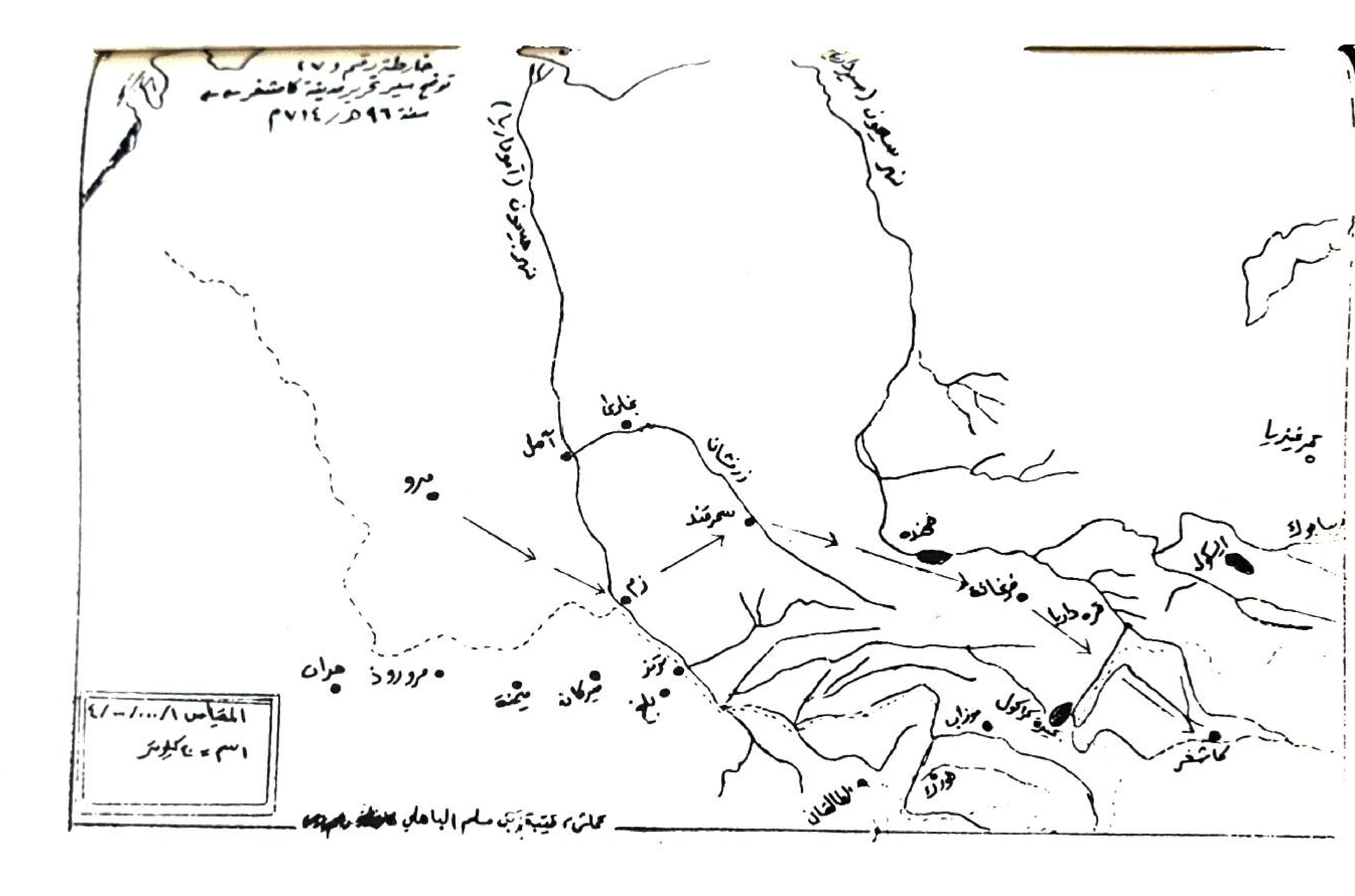
أما القوة التي انطلقت باتجاه شمال سمرقند، فقد واصلت سيرها الى الشاش[١٢٦] ، وتمكنت من الوصول الى المدينة بعد مقاومة ، عنيفة من اهلها ، وفي النهاية استطاع المقاتلون العرب المسلمون من فتحها[١٢٧] .

تقدم الجيش العربي من الشاش حتى وصل مدينة اسبيجاب[١٢٨] . وبعد ان حقق الجيش المتقدم باتجاه الشمال الأهداف التي عهدت اليه ، رجع الى الشاش ومنها الى النقطة التي حددها لهم قتيبة ، وهي مدينة كاشان ، نقطة الالتقاء معه . وبعد ان تم لقتيبة النصر على جيوش فرغانة والشاش عاد الى مرو .

كتب الحجاج بن يوسف الثقفي الى عامله على السند محمد بن

القاسم الثقفي يأمره بأرسال امدادات لقتيبة من المقاتلين العراقيين ، فامتثل محمد بن القاسم للأمر ، فبعث جيشاً من اهل العراق بقيادة سليمان بن صوصعة وجهم بن زحر بن قيس ، ويبدو ان هؤلاء المقاتلة كانوا من الكوفة[١٢٩] . وقد وصل هذا الجيش مدينة مرو سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م وفي ربيع هذه السنة ، تحرك قتيبة من مرو ، ومعه الأمدادات التي ارسلها الحجاج ، لأكمال ماتبقى من الخطة المرسومة له في الأندفاع نحو الشرق ، وهناك سبب آخر لهذا التحرك هو ، حدوث تمرد من قبل سكان الشاش ، فانطلق بسرعة للقضاء عليه قبل ان يمتد الى بقية المدن القريبة الاخرى مما يتطلب الى بذل جهود اضافية واستثنائية ، تستخدم في القضاء عليه ، وصل قتيبة المدينة واشتبك مع المتمردين ، وتمت السيطرة على المدينة بعد تدمير معاقل الأعداء واخضاعهم مرة ثانية[١٣٠] .

وقد تم فتح مدينة الشاش وفرغانة في سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م .



خارطة رقم (٧)
توضح سير تحرير مدينة كاشغر
سنة ٩٦هـ/٧١٤م
نهر جيحون (آموداريا)
نهر سيحون (سيرداريا)
آمل
بخارى
مرو
سمرقند
زم
ترمذ
بلخ
ميمنة
مرورود
هراة
الطالقان
فرغانة
كاشغر
المقياس
١سم = ٤٠ كيلومتر
حملات قتيبة بن مسلم الباهلي

فتح مدينة كاشغر سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م :

مدينة كاشغر احدى مدن الصين التي تقع في اقصى الغرب ، ومحاذية للحدود مع بلاد الصغد ، وتسمى الولايات الغربية من الصين بتركستان الشرقية اوتركستان الصينية[١٣١] . وهي حلقة وصل بين الصين وبلاد ماوراء النهر ، ويمر الطريق التجاري منها . وكان يحكم المنطقة الأمراء الأويغوريون[١٣٢] .

لقد اشار ابن اعثم الى المقاومة الشديدة التي جابهت الجيش العربي الاسلامي من قبل سكان المدينة بقوله : «فلما فتح فرغانة . . . نادى في الناس فجمعهم ثم سار بهم الى كاشغر . . . حتى اذا تقارب من بلادهم نزل بعسكره في اداني ارضهم ، ثم دعا برجل من اصحابه له . . . فضم اليه سبعة آلاف رجل من فارس وراجل ووجه بهم الى كاشغر فأقبل كثير حتى نزل عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً»[١٣٣] .

ان بعض الباحثين من المستشرقين يردد نغمة ضعف المنطقة واستغلال قتيبة لها من ساعده على فتح المدينة المناطق المجاورة لها . فبدر الدين الصيني بقول : «ومن حسن حظه ـ اي قتيبة ـ ان وجدهم مشغولين بالنزاع الداخلي ، غير متفقين على أمر الدفاع العام المشترك فأصبح اخضاعهم واحداً واحداً من السهولة بمكان على قتيبة»[١٣٤] . ويذكر فامبري : « . . . وقد يسر له تفرق كلمتهم التغلب عليهم جميعاً واحداً بعد الآخر برغم استنجاد كثير منهم بالقلمون الذين كانوا ينزلون في جنغاريا الشمالية»[١٣٥] .

ان ادعاء هذين الباحثين معتمد على المصادر الصينية وان لم يصرحا بذلك على الرغم من ان بعض المصادر العربية تروي لنا المقاومة

الشديدة التي واجهها الجيش العربي الذي ارسله قتيبة[١٣٦] .

قبل ان نوضح سير عملية التحرير ، نشير الى الدوافع التي دفعت بقتيبة الى الزحف نحو الشرق الى الأمبراطورية الصينية .

ان الدوافع الحقيقية وراء الزحف ، هو الأيمان الراسخ بالمبادىء والعقيدة الأسلامية . ودافع آخر هو السيطرة على بعض المدن ذات الموقع العسكري المهم ، لجعلها قواعد عسكرية لأمداد الجيوش العربية ، يضاف الى ذلك ان الأمبراطورية الصينية يمكن ان تمد وتحرض مدن بلاد ماوراء النهر وخاصة القريبة من حدودها ، بالجيوش في مساعدتها ضد العرب ، والى جانب هذا ان الأمراء الصينين والملك لعبوا دوراً اساسياً في حث سكان مدن الشاش وفرغانة وغيرها على التمرد وشق عصا الطاعة . ويمكن اضافة دافع آخر وهو السيطرة على الطريق التجاري الذي يربط فرغانة بمدينة كاشغر .

في سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م ، تحرك قتيبة من مرو متجهاً نحو سمرقند وقد اجتازها ، بعد ان عبر نهر زرفشان حتى وصل الى مدينة فرغانة[١٣٧] .

ووضع مفرزة على جانب النهر ، تمنع اي شخص من اجتياز النهر بدون جواز ، اي رخصة من قتيبة ، وكان آمر المفرزة رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي[١٣٨] وهذا الأجراء احترازي لمنع اي مقاتل من العودة الى مرو . ومن فرغانة ارسل قوة مؤلفة من بعض صنوف الجيش الى شعب عصَام وهو الطريق الذي يربط كاشغر بمدينة فرغانة . لتسهيل عملية سير القطعات العسكرية العربية ضمن هذه المنطقة الجبلية المعقدة ، كما ارسل قتيبة جيشاً بلغ سبعة آلاف مقاتل ، بقيادة كُثير بن

فلان[١٣٩] وسار كثير حتى وصل مدينة كاشغر فلقي اهلها ، واستعدوا لملاقاة الجيش العربي ، وكان من جملة التدابير التي اتخذها هي : «استنجاد الكثير منهم بالقلمون الذين كانوا ينزلون في جنغاريا الشمالية»[١٤٠] .

وفعلاً فقد حدث بينهما قتال شديد ، انتهى بهزيمة الأعداء وانتصار الجيش العربي الاسلامي ، وفتحت المدينة وفتحت ابوابها للمسلمين ، وقد ذكر الطبري رواية وكررها ابن الأثير مع بعض الأختلاف فقال : «وَغلَ قتيبة حتى قرب من الصين»[١٤١] .

والكاتب بدر الدين الصيني يشير الى عدة مدن سقطت بيد العرب منها يارقند ، وختن ، وقد وصل الجيش العربي في زحفه الى مدينة طرفان[١٤٢] ، الواقعة في الجزء الشمالي من تركستان الصينية . ويذكر فامبري : «ان العرب قد بلغوا في غزوهم هذا ولاية قانسو»[١٤٣] .

وفي رواية ليحى بن زكريا الهمداني ، ان قتيبة ، عندما اقترب من بعض المدن الصينية الأخرى ، جاءته رسالة من ملك الصين الأمبراطور (يوانغ جونغ ـ Yuang Chuny)[١٤٤] ، طالباً من قتيبة ارسال وفد لأجراء لقاء معهم ، ولمناقشتهم في بعض الأمور الأخرى المهمة ، مثل التعرف على الدين الذي جاء به الرسول العربي محمد (ص) ولمعرفة احوال العرب فانتخب قتيبة اثني عشر رجلاً[١٤٥] ، من احسن العرب ادباً وخلقاً وكلاماً وكان الوفد برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي[١٤٦] . وقد اختبرهم ، فظهروا له انهم من خيار الناس ، ولما تأكد من جودة الأنتقاء امر بان يجهزوا بأحسن السلاح والمتاع ، والبسهم من الثياب

الفاخرة والجيدة ، وزودهم بأحسن الخيول المطهمة ، وعند ما اكملت جميع الأستعدادات التي اعدها للوفد ، دعا بهبيرة فقال له : «ياهبيرة كيف انت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير قد كفيت الادب طق وقل ماشئت اقله ، وآخذ به ، قال : سيروا على بركة الله وبالله التوفيق . لاتضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم عليه فاعلموه اني قد حلفت الا انصرف حتى اطأ بلادهم ، واختم ملوكهم ، واجبي خراجهم»[١٤٧] .

وصل الوفد الى عاصمة الأمبراطورية الصينية وقابلوا الملك ، ويذكر يحيى الهمداني في روايته ، ماقام به الوفد من تغير في ملابسهم مساء كل يوم تتم المقابلة معهم ، واستمرت الحالة الى ثلاثة ايام ، وفي اليوم الثالث ، وحسب ما مقرر للوفد دخلوا مجلس الملك ، وهم مرتدون «البيض والمغافر ، وتقلدوا السيوف واخذوا الرماح ، وتنكبوا القسى ، وركبوا خيولهم وغدوا ، فنظر اليهم صاحب الصين ، فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا ماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين فقيل لهم قبل ان يدخلوا : «ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم»[١٤٨] .

ونتيجة لما فعله الوفد استدعى الملك رئيس الوفد هبيرة بن مشمرج الكلابي ، مستفسراً منه عما فعله هو وجماعته فلما سمع منه ذلك ملك الصين قال له : «قد رأيتم عظيم ملكي ، وانه ليس احد يمنعكم مني وأنتم في بلادي ، وانما انتم بمنزلة البيضة في كفي . وانا سائلك عن امر فان لم تصدقني قتلتكم . . . قال لم صنعتم من الزي في الأول والثاني والثالث ؟ قال اما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا

عندهم ، وأما يومنا الثاني فاذا أتينا امراءنا ، واما اليوم الثالث فـزينا لعددنا ، فاذا هاجنا هيج ونزع كنا هكذا»[١٤٩] . فرد عليه ملك الصين قائلاً : « . . . فانصرفوا الى صاحبكم فقولوا له : ينصرف فـأني قد عرفت حرصه وقلة اصحابه ، والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، قال له : كيف يكون قليل الأصحاب من أوّل خيله في بلادك واخيرها في منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها وغزاك واما تخويفك أيانا بالقتل فان لنا آجالاً اذا حضرت فـاكرمهـا القتل ، فلسنا نكرهه ولانخافه»[١٥٠] .

ولما وصل الى ملك الصين نبأ ، تصميم قتيبـة واليمين الـذي حلف به ، بعدم مغادرة الصين الابعد ان يطأ ارضها ، ويختم ملوكها ، ويأخذ الجزية ، فقال ملك الصين إنا نخرجه من قسم اليمين فدعا بصحاف مملؤة بالتراب وأرسله مع مجموعة من الأمراء ، وبعث معه أموالاً ، فقبل قتيبة بالجزية ووطأ التراب[١٥١] .

وتبرز نتيجة لها دلالتها في الحياة اليومية للمقاتل العربي ، وان كانت هي صفة ملازمة له في اي موقعة حربية ، الا انها جاءت في مكان اعـطت نتائجهـا ، وأرهبت العدو ، وجعلتـه يفكر ويـطيل التفكـير بعمق ، ويحسب لهـا الف حساب ، لمـا يواجـه من رجـال يفضلون الشهادة ويتعلقون بها[١٥٢] ، بل يتسابقون فيما بينهم في الوصول اليها ، لأقتطاف المنزلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى . الا وهي الشهادة في سبيل العقيدة والمبادىء .

(١) الأصطخري ، المسالك ، ص ١٦١ . ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٣٨١ .

(٢) لسترينج ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .

(٣) الأصطخري ، المسالك ، ص ١٦٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص ٤٠٩ .

(٤) لسترينج : ص ٤٠٩ .

(٥) الأصطخري ، السمالك ، ص ١٧٥ . ، ابي الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٤٨٩ .

(٦) الأصطخري ، مسالك ، ص ١٦٨ .

(٧) ابن حوقل ، صورة ، ص ٣٩٨ .

(٨) لسترينج ، ص ٤٨٤ .

(٩) ابن خرداذبة ، مسالك ، ص ٣٠ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٤٢١ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٢١ .

(١٠) خرائب هذه المدينة تسمى الآن طشقند .

(١١) الأصطخري ، مسالك ، ص ١٨٥ .

(١٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٦ .

(١٣) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .

(١٤) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢١٥ .

(١٥) ن . م . حـ ٧ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(١٦) عماش ، قتيبة بن مسلم الباهلي ، ص ٥٤ .

(١٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦، ص ٣٥٢ .

(١٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٤ ، فيما يخص اسوار مدينة سمرقند وايضاً ، ص ٤٣٠ ، اسوار مدينة بيكند .

(١٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٢ .

(٢٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢١) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٥٥ .

(٢٢) انظر . الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٧ .

(٢٣) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٠٧ .
(٢٤) ن . م . حـ ٧ ، ص ٢٠٨ .
(٢٥) بارتولد : تركستان ، ص ٣٠٠ ، فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٢٢ . كتابجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، ص ٧٥ .
(٢٦) سورة الصف ، آية : ٩ .
(٢٧) سورة التوبة ، آية : ١٢٠ ، ١٢١ .
(٢٨) سورة آل عمران ، آية : ١٦٩ .
(٢٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .
(٣٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .
(٣١) ابن نباته : سرح العيون ، ص ١٤٣ .
(٣٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٠ . ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢١٨ .
(٣٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .
(٣٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ ٩ ، ص ١٦٧ .
(٣٥) ن . م . حـ ٩ ، ص ١٤٢ .
(٣٦) اليافعي ، مرآة الجنان ، ص ١٩٩ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، حـ ١ ، ص ١١٢ .
(٣٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .
(٣٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٦ . ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٢٩ .
(٣٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٥ .
(٤٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٢٥ .
(٤١) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٠ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٩ .
(٤٢) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٣٤ .
(٤٣) انظر خارطة رقم (١) .
(٤٤) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٠ . ، النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٣٥ .
(٤٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ . قدامة ، الخراج ، ص ٤٠٨ .
(٤٦) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(٤٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٠ . ، ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ ٦ ، ورقة ٢١ أ .

(٤٨) المزيد من التفاصيل عن هذه المعركة انظر : ابن خياط ، تاريخ ، ص ١٣١ . ، البلاذري ، فتوح ، ص ٣١٣ . ، اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٥٧٠ .

(٤٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

(٥٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٢٨ . ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢١٨ .

(٥١) المرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ص ٢٤ .

(٥٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

(٥٣) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

(٥٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣١ .

(٥٥) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(٥٦) ن . م . ص ٦٩ .

(٥٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣١ .

(٥٨) ن . م . حـ ٦ . ، ص ٤٣١ ابن كثير ، البداية ، حـ ٩ ، ص ٧٢ .

(٥٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ . مؤلف مجهول غرر السير ، ورقة ٤٦ ب .

(٦٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٢ .

(٦١) ن . م . ج . ٦ ، ص ٥٠٣ .

(٦٢) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٣ .

(٦٣) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠١ . ، البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ .

(٦٤) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠١ .

(٦٥) ن . م . ص ٣٠١ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٦ .

(٦٦) ابن خياط ، تاريخ . ص ٣٠١ .

(٦٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ . ص ٤٣٧ .

(٦٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٧ .

(٦٩) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٢ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٩ .

(٧٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٩ .

(٧١) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٩ .

(٧٢) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٩ .

(٧٣) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٤٠ . ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٣٥ .

(٧٤) يقصد مدينة بخارى .

(٧٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٠ .

(*) انظر : خارطة رقم (٢) .

(٧٦) فاميري ، تاريخ بخارى ، ص ٦٤ .

(٧٧) الطبري تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٣ .

(٧٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٤٣ .

(٧٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٤٢ .

(٨٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٤ .

(٨١) طرخون : وقدورد ايضاً طرخان ، ويبدو انه لقب لملوك الأتراك الذين يحكمون سمرقند .

(٨٢) اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٣٢ .

(٨٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٦ .

(٨٤) اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٣٢ .

(٨٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٨٦) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٤٧ .

(٨٧) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٥٤ . ويرى جب في هؤلاء اللصوص رأيا مخالفاً لرواية الطبري . انظر : Gibb — Op — Ct — , P — 37

(٨٨) بغلان : بلدة بنواحي بلخ ويعتقد ياقوت انها من طخارستان ، ويكثر فيها الانهار والاشجار . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٤٦٨ .

(٨٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٥٥ .

(٩٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٥٥ .

(٩١) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٦١ .


حـ ٦ ، ص ٤٦٣ .

(*) انظر خارطة رقم ٣ .

(٩٣) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٦٣ . ابن الاثير الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٥٣ .

(٩٤) العسلي ، بسام ، فن الحرب ، ص ٤٣٩ ، (بيروت ـ ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .

(٩٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٦ ـ مسكويه ، تجارب ، ورقة ، ١ أ .

(٩٦) ن . م . حـ ٣ ، ص ٣٢ . عن سير قتيبة ، انظر : خارطة ، رقم (٤) .

(٩٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٠ .

(٩٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ ٦ ، ورقة ١٣٣ .

(٩٩) يذكر البلاذري عن علي بن مجاهد ان مدينة فيل هي مدينة سمرقند . انظر فتوح ، ص ٥١٨ .

(١٠٠) ورد عند البلاذري باسم عبيد الله . انظر : الفتوح ، ص ٥١٨ .

(١٠١) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٨٠ ـ ٤٨١ .

(١٠٢) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٢ .

(١٠٣) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٢ . ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(*) انظر خارطة رقم (٥) .

(١٠٤) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

(١٠٥) انظر الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٦٣ .

(١٠٦) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٥ . ، البلاذري فتوح ، ص ٥١٨ .

(١٠٧) البلاذري ، فتوح ص ١٨ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٦ .

(١٠٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٣ .

(١٠٩) يذكر ابن الاثير ان هذه القوة وضعت تحت قيادة ابن الخاقان . انظر ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٧٢ .

(١١٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٣ .

(١١١) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٣ .

(١١٢) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٣ . ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٤١ .

(١١٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٤ .

(١١٤) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٤ .

(١١٥) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ . ابن اعثم ، الفتوح ، جـ ٧ ، ص ٢٤٣ .

(١١٦) يفسر بسام العسلي ، الخمس على ان هو خميس وهي تسمية لاحد اصناف الجيش وهذا خطأ وانما يقصد بالخمس قبيلة يمثلها رئيسها . انظر : بسام العسلي ، فن الحرب ، ص ٤٥٠ .

(١١٧) الطبري، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٥ .

(١١٨) تاريخ ، ص ٣٠٦ . ، الفتوح ، ص ٥١٩ .

(١١٩) انظر ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٥٠ .

(١٢٠) قدامة : الخراج ، ص ٤٠٩ . مؤلف مجهول ، غرر السير ورقة ٥٣ ب ، ٥٤ أ .

(١٢١) انظر : خارطة رقم (٦) .

(١٢٢) يذكر مؤلف مجهول غرر السير ، ان قتيبة سار بنفسه الى الشاش . انظر : ورقة ٥٣ ب .

(١٢٣) يطلق بسام العسلي على هذه المدينة اسم خجندر ، ولم اعثر في المصادر التاريخية على ان خجندة وردت بهذا الاسم . انظر : فن الحرب ، ص ٤٥١ .

(١٢٤) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٨٤ .

(١٢٥) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٦ .

(١٢٦) يشير بسام العسلي ان قتيبة ارسل جيشاً تحت قيادة عبد الرحمن بن مسلم الى الشاش وعند مراجعتنا المصادر التاريخية لم نعثر على احد من هؤلاء يذكر ماذهب اليه هذا الكاتب انظر ، فن الحرب ، ص ٤٥٢ .

(١٢٧) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٦ .

(١٢٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٩ .

(١٢٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٨٤ .

(١٣٠) ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٧ . الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٩٢ .

(١٣١) عماش ، قتيبة مسلم الباهلي ، ص ١٢٩ . حتى ، تاريخ العرب ، حـ ٣ ، ص ٣٠ .

(١٣٢) فامبري ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(١٣٣) ابن اعثم ، الفتوح ، ص ٢٥١ .

(١٣٤) الصيني العلاقات بين العرب والصين ، ص ٢٦ ، مصطفى ، مازن حميد ، والعلاقات السياسية والدبلوماسية بين العرب والصين حتى نهاية العصر

العباسي» ، مجلة آفاق عربية العدد ١ ـ ٢ ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٩٤ .

(١٣٥) فامبري ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(١٣٦) انظر : الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠٠ .

(١٣٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠٠ ، انظر : خارطة رقم (٧) .

(١٣٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٠ .

(١٣٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٠ .

(١٤٠) فامبري ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(١٤١) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٥ ، ص ٥ . ابن زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، حـ ١ ، ص ١٩٧ .

(١٤٢) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٢٦ .

(١٤٣) فامبري ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(١٤٤) الصيني العلاقات ، ص ٢٧ .

(١٤٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠١ .

(١٤٦) ذكر بسام العسلي ، هبيرة بن المشمرج الكلاهي ، وقد اشار اليه بدون ذكر المصدر ولم نجد في مصادرنا التاريخية احد يذكر هذا النسب . انظر : العسلي ، فن الحرب ، ص ٤٥٣ .

(١٤٧) الطبري ، تارغ ، حـ ٦ ، ص ٥٠١ .

(١٤٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠١ .

(١٤٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٢ .

(١٥٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٢ . مؤلف مجهول ، غرر السير ، ورقة ٥٤ أ .

(١٥١) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ . مسكويه ، تجارب ، ورقة ٧ .

(١٥٢) الطبري ، تاريخ حـ ٦ ، ص ٥٠٢ .

الفصل الرابع

جهود قتيبة في نشر الإسلام

بناؤه للمساجد

توطين العلماء والفقها في المناطق المحررة

نهاية قتيبة بن مسلم الباهلي

جهود قتيبة في نشر الاسلام :

كانت في بلاد ماوراء النهر عبادات وثنية مختلفة منها المجـوسية وعبادة الأصنام ، فضلاً عن وجود بعض المدن التي تدين بالبوذيـة . وعليه لم يكن نشر الأسلام ، بين سكان ماوراء النهر سهلاً ، فقد بذل العرب المسلمون جهوداً مضنية في سبيل اعلاء كلمة الله والقضاء على الشرك ، خصوصاً اذا علمنا ان سكان هذا الأقليم دخلوا الاسلام عدة مرات فقد كانوا بعدها يرتدون في كل مرة الى ماكانوا عليه من الشرك والوثنية . لذلك تعددت الأساليب التي استخدمها العرب المسلمون في نشر الاسلام ، وخاصة ما اتبعه القائد العربي قتيبة في هذا المجال ، ايماناً منه بالعقيدة والمبادىء التي جاء بها الرسول العربي محمد (ص) .

لم يكن اصرار قتيبة على مواصلة عمليات الفتوح طلباً للمغانم التي تعـود عليـه وعـلى جنـده من الفتـوح كـما يـردد ذلـك بعض المستشرقين(1) ، ومن يرى رأيهم من المؤرخين .

ان الدوافع الأساسية لعملية الفتوح هي الرغبة في نشر الاسلام نزولاً لأمر الله الذي دعا العرب المسلمين لنشر دينه بين الناس كافة .

ويتضح سلوك قتيبة واصراره على نشر الأسلام منذ الوهلة الأولى التي وطأت قدمه خراسان ، حيث التقى مع الجند وقام فيهم خطيباً فقال : «ان الله احلكم هذا المحل ليعز دينه ويذبّ بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استغاضه ، والعدو وقما ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال : «هو الذي ارسـل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» . ووعد المجاهدين في سبيله احسن الثواب ، واعظم الذخر عنده فقال : «ذلك بانهم لايصبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيـل الله» الى قوله : «احسن ماكانوا يعملون» . ثم ذكر عمن قُتل في سبيله انه حي

ولايته على الري (٨٢ هـ / ٧٠١ م) :

مرزوق فقال : «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون» . فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا انفسكم على اقصى اثر وامضى الم ، وأياي والهوينى»[٢] .

يمكن الخروج من هذه الخطبة بملاحظة مهمة ، هي تأكيد قتيبة على كون الجهاد ، أمراً من الله سبحانه وتعالى وقد مثل لذلك ببعض آي الذكر الحكيم الأنفة الذكر فضلاً عن انه ختم خطبته بعبارة «فتنجزوا موعود ربكم» . والملاحظة الأخرى التي يؤكد عليها قتيبة ، هي ان الله قد حمل العرب مسؤولية نشر الرسالة «وهكذا فان الله سبحانه وتعالى ميز العرب واخصهم بهذا الدور القيادي لأنه اعطاهم دوراً متميزاً بالتضحية وفي الخدمة لعموم المسلمين على طريق المبادىء»[٣] .

ونقطة اخرى اساسية يؤكد عليها القائد قتيبة ، ان اعلى درجات التضحية في سبيل اعلاء كلمة الله ونشر رسالة الاسلام ، هي الشهادة ، ويذكّر المقاتلين العرب بمنزلة الشهيد عند الله ، بانها منزلة رفيعة مُكرَّمة .

واذا تتبعنا مسيرة هذا القائد طيلة مايقارب عشر سنوات وهي مدة ولايته على خراسان ، نرى انه قضاها مجاهداً ، ومكافحاً من اجل ازالة براثن الوثنية والمجوسية في هذا الأقليم ، وقد تعددت أساليبه التي استخدمها في هذا المجال .

ان الجهود التي كان يبذلها قتيبة لم تقف عند حد المدينة التي يفتحها ، بل تعداها الى ابعد من ذلك ، فقد أهتم بالقرى والأرياف ، مشمراً عن ساعده ، في بناء المساجد لتكون الدعامة الرئيسية والقاعدة الأساسية في تنفيذ المهمات الملقاة على عاتق العرب المسلمين وخاصة

الفقهاء والعلماء منهم .

وعندما تم فتح بخارى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م عمل قتيبة على نشر الأسلام فيها ، «وكان اهل بخارى في كل مرة يسلمون ثم يرتدون حين يعود العرب ، وكان قتيبة قد حملهم على الأسلام ثلاث مرات ثم عادوا فارتدوا وكفروا . وقد حارب قتيبة هذه المرة الرابعة واستولى على المدينة واظهر الأسلام بعد عناء كبير وغرسه في قلوبهم وشدد عليهم بكافة الطرق . وكانوا يقبلون الاسلام في الظاهر ويعبدون الأصنام في الباطن»[٤] . ويتضح من النص ان قتيبة كان يحارب على جبهتين في آن واحد ، يحارب الذين يشهرون السلاح بوجه الجيش العربي في ميدان المعارك ، ويصارع في جبهة ثانية الشرك والوثنية والكفر ، وهذا بحد ذاته يشكل ميداناً اصعب وأقوى من المواجهة في ميدان المعركة ، وعليه فكان على القائد قتيبة ان يبذل جهوداً استثنائية في تنقية نفوس سكان المدن والقرى ، وزرع الأيمان بالله والرسالة الاسلامية ، التي جاء بها الرسول العربي محمد (ص) ، هذه الرسالة التي اخرجت الأنسان من الظلام الى النور ، وانقذتهم من العبودية والأضطهاد والأستغلال ، وجعلتهم في حياة ملؤها الحرية والمساواة والعدالة .

ان اول عمل قام به في بخارى بناؤه المساجد ، ففي قرية افشنة يخبرنا النرشخي عنها قوله : «افشنه لها قلعة كبيرة وسور محكم وتتبعها عدة نواح ، ويقام بها السوق يوماً في كل اسبوع ، وضياع وفلوات هذه القرية وقف على طلاب العلم ، وقد بنى قتيبة بن مسلم هنالك مسجداً جامعاً ، كما بني محمد بن واسع ايضاً مسجداً والدعاء فيه مستجاب ويقصده الناس من المدينة ويتبركون به»[٥] . «وشيان مدينة رستاق اسكيمثت وبها عين عجيبة على حافتها مسجد قتيبة بن مسلم»[٦] . ومن مساجد مدينة بخارى مسجد حنظلة[٧] .

ومن الأساليب الأخرى التي استخدمها قتيبة لنشر الاسلام ، اسكانه العرب بين السكان المحليين ، ليطلعوا على تعاليم الاسلام ، وعادات العرب المسلمين واخلاقهم عن طريق الاحتكاك بهم ، فقد اخبرنا النرشخي عن ذلك قائلاً : «فرأى قتيبة من الصواب ان يأمر اهل بخارى بأن يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا معهم ويطلعوا على احوالهم فيظلوا مسلمين . . . فاظهر الاسلام بهذه الطريقة والزمهم بأحكام الشريعة وبنى المساجد وأزال آثار الكفر ورسم المجوسية وكان يبذل في ذلك جهداً عظيماً ، ويعاقب كل من قصر في احكام الشريعة وبنى المسجد الجامع وأمر الناس بأداء صلاة الجمعة بما في ذلك اهل بخارى فليجعل الله تعالى ثواب الخير ذخيرة آخرته»[8] .

لم تقف جهود قتيبة في نشر الاسلام عند هذا الحد بل تعدتها الى اكثر من ذلك فكان الشرط الاول في أي صلح يعقده مع مدن ماوراء النهر ، هو بناء مسجد . فعندما طلب غوزك ملك سمرقند الصلح من قتيبة اشترط الاخير « . . . على ان يخلي المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيبنى له فيه مسجد فيدخل ويصلي ويوضع له فيها منبر فيخطب ، ويتغدى ويخرج»[9] .

وقد أورد البلاذري رواية توضح قوة أيمان هذا القائد العربي المسلم ، فيشير قائلاً : «صالح قتيبة (اهل سمرقند) على سبع مئة الف درهم وضيافة المسلمين ثلاثة أيام . وكان في صلحه بيوت الأصنام والنيران فأخرجت الأصنام فسلبت حليتها واحرقت وكانت الأعاجم تقول ان فيها اصناماً من استخف بها هلك . فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق»[10] .

وساعد على اقتلاع جذور المعتقدات القديمة من سكان ماوراء النهر وتركيز اركان الدين الاسلامي في نفوسهم ، الطريقة المثلى التي سار عليها قتيبة بن مسلم وهي تعيين الفقهاء للمدن التي يفتحها ، يعلمون الناس هناك القرآن الكريم ، ومبادىء الأسلام ، فقد عين يحيى بن يعمر على قضاء مرو ، «وكان من فصحاء اهل زمانه واكثرهم علماً باللغة مع الفضل والورع»[11] . وبعد فتح سمرقند ، «خلف بها جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير»[12] ، كما وان محمد بن واسع الفقيه والزاهد ، كان مقرباً جداً من قتيبة ، وقد نشط في نشر الاسلام ومشاركته اخوانه المجاهدين في ساحات القتال ، حتى انه كان ينافس قتيبة في بناء المساجد[13] .

وقد صاحب عملية انتشار الاسلام بين سكان ماوراء النهر سرعة تعلمهم اللغة العربية ، حيث كان قتيبة يصدر أوامره ببناء المساجد ، ولم تكن تقتصر على اقامة شعائر الصلاة فقط وانما كان فيها حلقات الدرس في تعليم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . وقد أدت المساجد دوراً كبيراً في تعليم السكان اللغة العربية ، وكان اقبال اهل تلك البلاد على تعلم اللغة كبيراً ، لأنها لغة القرآن الكريم .

ان ايمان القائد قتيبة بالأسلام ومبادئه واخلاصه العميق لهذه المبادىء وتفانيه من اجل تعزيز الأسلام في بلاد ما وراء النهر ، كان كفيلاً في القضاء على الوثنية ولذلك قال ابن كثير : «انه ما انكسرت له راية وكان من المجاهدين في سبيل الله واجتمع له من العسكر مالم يجتمع لغيره»[14] .

وكان من نتائج الجهود التي بذلها قتيبة في نشر الاسلام ، ان اصبحت بخارى وسمرقند واقليم خوارزم مراكز للثقافة العربية

الأسلامية ونشر الاسلام في اسيا الوسطى ، كما كانت مرو ونيسابور في خراسان(١٥) . ومنها ايضاً دخول كثير من اهالي ماوراء النهر في دين الله افواجاً ، فظهر من بينهم عدد من الكتاب ، والمحدثين والفقهاء والمؤرخين(١٦) .

نهاية قتيبة بن مسلم الباهلي :

لقد كان للنهاية المفجعة التي آل اليها مصير القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي ، أثرها السلبي ، المتمثل بحالة الحزن والأسى العميق التي خيمت على نفوس العرب المسلمين في خراسان .

لقد توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك في جمادي الآخرة من سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م فوصل هذا الخبر الى قتيبة ، وهو في مدينة فرغانة ، بعدما فتح كاشغر ، وتولى مقاليد الخلافة سليمان بن عبد الملك في السنة نفسها .

وتشير بعض المصادر الى ان قتيبة قد تم عزله عن ولاية خراسان وتعيين يزيد بن المهلب ، يذكر ابن اعثم «فدعا سليمان بيزيد بن المهلب . . . وعزم على ان يوليه العراقين البصرة والكوفة . فقال له يزيد بن المهلب : ياامير المؤمنين ان العراق قد اجبر به الحجاج بن يوسف في ولايته . . . فأن رأى امير المؤمنين ايده الله ان يعفيني من ذلك ، وانا أدله على رجل بصير بأمر الخراج وسياسة الأمور فيوليه اياها ، فقال سليمان : ومن هذا الرجل ؟ فقال صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فقال سليمان : فانا قد قبلنا ذلك منك ووليناك خراسان ان احببت فقال يزيد : ياأمير المؤمنين تلك غايتي وأمنيتي . قال : فدعا سليمان بن عبد الملك بصالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فعقد له

عقداً وولاه العراق ، وعقد ليزيد بن المهلب بلاد خراسان حربها وخراجها كما كان في اول امره»[١٧] .

إن ابن اعثم يخلط بين تعيين يزيد بن المهلب والياً على العراق وبين تعيين صالح بن عبد الرحمن عاملاً على ديوان الخراج ، بعد ان اظهر يزيد للخليفة عدم رغبته تولية خراج العراق ، وهذا ما اتفقت عليه المصادر التاريخية»[١٨] .

ويشير ابن اعثم ايضاً «فلما ورد كتاب قتيبة على سليمان بن عبد الملك وقرأه ، اقبل على الرسول فقال : كيف رأيت قتيبة ؟ فقال ياامير المؤمنين رأيته كارهاً لولاية يزيد بن المهلب خراسان واظنه سيخالف على امير المؤمنين»[١٩] .

الا ان ابن اعثم نفسه يذكر في مكان آخر رواية عن المدائني يقول : «فلما قتل قتيبة ومضى لسبيله احتوى وكيع بن ابي سود على بلاد خراسان . . . ويزيد يؤمئذٍ قد صار الى البصرة ، فهو مقيم بها . . . يتوقع ان يؤمر بالمسير الى خراسان قال : ودعا سليمان بن عبد الملك ، بعبد الملك بن المهلب فقال له : أيا عبد الله ماذا انت صانع ان وليتك ؟ فقال يجدني امير المؤمنين بحيث احب . قال : وبلغ ذلك يزيد بن المهلب فاشتد ذلك عليه وكتب الى سليمان بن عبد الملك ان يوليه خراسان ويعلمه في كتابه انه لايقوم بامرها احد سواه»[٢٠] . ويتضح من هذه النصوص مدى الخلط والأضطراب فيها ، فتارة يذكر ان الخليفة سليمان عين يزيد بن المهلب والياً على خراسان ، ولازال قتيبة موجوداً فيها وتارة اخرى يجعل تعيين يزيد بعد مقتل قتيبة بتسعة أشهر .

وينفرد ابن اعثم برواية ، يذكر ان سليمان بن عبد الملك كتب الى قتيبة قائلاً : «أما بعد ، فان الناس قد اشتد عليهم البلاء . . . وقد

احب أمير المؤمنين ان يحل عقد الخوف عنهم وان ينعشهم بالعدل والانصاف والأمن ، وقد فهم امير المؤمنين كتابك وتهنئتك وما قد اضمرت في نفسك من الخلاف ، فلا تفسرن صالح عملك بشق العصا فأن امير المؤمنين وان عزلك عن خراسان ولاك غيرها ، فاقبل الى امير المؤمنين فيمن احببت من إخوتك وقوادك آمنا مطمئناً . والسلام»[٢١] .

إنّ ما يشير اليه ابن اعثم ، لايتفق مع سير الأحداث التاريخية التي اوردتها المصادر التاريخية المبكرة . وهناك ادلة تثبت ان سليمان بن عبد الملك لم يعزل قتيبة عن ولاية خراسان ، كما انه لم يعين يزيد بن المهلب على خراسان . ومن هذه الادلة : «كتب سليمان الى قتيبة بالولاية»[٢٢] .

واشار البلاذري ايضاً في رواية عن ابي عاصم النبيل : «قال لما احتبس سليمان ابن عبد الملك يزيد بن المهلب عنده ثم ولاه العراق عزل خراسان عنه ولم يول اياها وولى خراسان قتيبة بن مسلم وكتب عهده عليها وبعث به اليه»[٢٣] .

وقد ذكر ابن الأثير «وكان سليمان لم يجعل خراسان الى يزيد»[٢٤] . ودليل آخر ان تاريخ ولاية يزيد لخراسان كانت في سنة ٩٧ هـ/ ٧١٦ م ، «قدم يزيد بن المهلب ـ خراسان ـ سنة سبع وتسعين»[٢٥] . ويضاف الى هذه الأدلة دليل آخر هو ان قتل قتيبة كان في ذي الحجة سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م وقد استمر وكيع بن ابي سود في امارة خراسان تسعة اشهر حتى قدمها يزيد بن المهلب في سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م .

أما بخصوص الآراء التي قيلت حول الدوافع التي دفعت وكيع

بن ابي سود وبعض الجند الى التمرد على قتيبة ، والتي ادت في النهاية الى قتله ، فيمكن ان نوجزها كالآتي : يجمع المؤرخون الأوائل على ان اسباب تزعم وكيع لواء التمرد تعود الى حنقه على قتيبة في قتله عدداً من بني الأهتم التميمي[٢٦] ، ودفع قتيبة قبيلة تميم عن وكيع ، وجاء بضرار بن حصين الضبي لرئاسة تميم . وفي رواية للبلاذري ان عزل وكيع عن رئاسة تميم جاء بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي .

وقد ذكر الطبري ان سبب تمرد قسم من الجند على قتيبة ، راجع الى ان الأخير خلع الخليفة سليمان بن عبد الملك[٢٧] .

وأما ما يردده الباحثون المحدثون من اسباب قتل قتيبة ، وخروج وكيع عليه ومع بعض الجند ، فقد أشار بعضهم الى مسألة البيعة لعبد العزيز بن الوليد والسعي في عزل سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد[٢٨] .

أما فلهوزن فيضيف سبباً آخر هو ، ان وكيعاً حقق انتصاراً على الترك[٢٩] سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، الا ان قتيبة جعله لأخيه عمرو بن مسلم وكتب به الى الحجاج بينما يرى الدكتور نافع توفيق «ان عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ترك فراغاً كبيراً في نفوس الكثير من اهلها . . فكونوا معارضة سياسية لقتيبة بن مسلم . . . وسنجد فيما بعد اثر هذه المعارضة في انهاء حكم قتيبة وقتله»[٣٠] . اما سيد أمير علي فيقول : «قتل القائد العظيم في الحرب الأهلية التي اندلعت نارها الآن من جديد بين المضربين واليمانيين ، بسبب ان المضريين آزروا الوليد في تغير الوصية فاضطهدهم سليمان»[٣١] . واحسان النص يجعل مجيء قتيبة بدافع الروابط القبلية[٣٢] . أما محمد عبد الحمي شعبان فيرى ان اسباب التمرد على قتيبة ، هي ان كلًا من الحجاج بن يوسف الثقفي

وقتيبة قد أهمل مصالح السكان المحليين ، ويستمر شعبان في قوله «استفاد من هؤلاء الموالي كل الفائدة ولكنه غفل وأهمل مصالحهم كل الأهمال . . . ولهذا يبدو واضحاً كيف ان سياسة الحجاج وقتيبة قد ألبت العناصر الايرانية في خراسان ضد قتيبة حتى اذا ما احتاج اليها وقت الضيق خانته وانقلبت عليه»[٣٣] .

ان الأسباب المذكورة آنفاً من قبل المؤرخين الأوائل او ماذكره الباحثون المحدثون من آراء حول اسباب قتل قتيبة لاتعدو ان تكون اسباباً شكلية . وان هناك دوافع واسباباً اعمق مما ذكرت اعلاه ، بل هي في الحقيقة اخطر وابعد اثراً في تحقيق نتائج بعيدة المدى على المستوى السياسي والأقتصادي والأجتماعي وهذه الدوافع تكمن في صدور الفرس الذين يتظاهرون بالأسلام زيفاً وبهتاناً ، ويضمرون الحقد والكراهية للعرب بصورة خاصة والاسلام بصورة عامة ، لا لأن الأسلام اخذ ينتشر بين سكان خراسان نتيجة العلاقات الحسنة التي بناها العرب المحررون ، فحسب وانما لأن حملة راية الأسلام هم العرب ، العاملون على انقاذ الأنسانية من براثن الظلام ، والأضطهاد والعبودية .

هذا الحقد الأسود ادى بهم الى التآمر لا على القائد العربي قتيبة فحسب ، بل على العرب بصورة عامة ، نعم مؤامرة فارسية حاكوا خيوطها وخططوا لها ونفذوها بالأشتراك مع حيان النبطي .

ومما هو جدير بالملاحظة ، ان هؤلاء الفرس لهم سابقة مع قادة العرب في التآمر عليهم وقتلهم ، ومن الشواهد التاريخية على تآمرهم ، سعيهم في قتل الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي (رض)[٣٤] ، ليس فقط لكرههم شخصياتهم ولأنهم مسلمون ، وانما لكونهم عرباً حملوا

رسالة الأسلام الى البشرية وكذلك وصلوا بالعرب الى اعلى المراتب العليا في المجالات كافة آنذاك[٣٥] .

وحيان النبطي فارسي من اهل خراسان ، ولقب بالنبطي كنية له . كان قائداً للموالي ضمن تشكيلات الجيش العربي الأسلامي ، وكان مقرباً من الولاة الذين تولوا ولاية خراسان ، الا انه كانت له نوايا خفية في صدره ، هذه النوايا ماهي الا مخططات تآمرية ضد الوجود العربي السيادة العربية في عهد الأمويين ، ولذلك فقد أصاب فلهوزن حين وصفه قائلاً : «وكان حيان هذا رجلاً خطراً في مركز متوسط بين السادة العرب وبين الموالي له تأثير كبير وكان يعرف كيف يدبر المؤامرات . . . . وكان له شأن خاص بحكم انه زعيم الموالي»[٣٦] . وقد دخل حيان من باب الخلافات التي كانت تحدث احياناً بين الوالي وبعض رؤساء الأخماس في خراسان ، او نتيجة سوء تفاهم يحدث بين بعض افراد قبيلة مع قبيلة اخرى على بعض الأمور . وكان الفرس يستغلون مثل هذه المناسبات ، وتوظيفها في مخططاتهم التآمرية ، لتحقيق مآربهم العدوانية ضد العرب وتواجدهم في هذا الأقليم .

وكان حيان اكثر تصميماً ، على ان يتولى التمرد وكيع بن ابي سود لما بينه وبين قتيبة من تباعد ، وهذا حيان يصرح بكل وضوح الى ماذهبنا اليه «فقال حيان مولى بني شيبان : ان احداً لايتقلد هذا الأمر فيصلى بحره ، ويبذل دمه ، ويتعرض للقتل فان قدم امير اخذه بما جنى وكان المهنأ لغيره الا هذا الأعرابي وكيع ، فانه مقدام لايبالي ماركب ، ولاينظر في عاقبة ، وله عشيرة كثيره تطيعه ، وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي»[٣٧] .

ان مايدور في ذهن حيان ، وما يملأ قلبه من كره وعداء للعرب ، وما يخططه في افساد الناس ، تمهيداً لأمرار مخططه التآمري ضد قتيبة ، وضد العرب وتواجدهم في خراسان ، يتضح فيما ذكره ابن الأثير حيث يشير الى دليل آخر على تآمر حيان وعدائه للعرب ، قائلاً : «فلما قال له سورة بن الحر : يانبطي ، وأجابه حيان فقال : انبط الله وجهك ، على ماتقدم آنفاً ، حقدها عليه سورة ، فقال لسعيد خذينة : ان هذا العبد اعدى الناس للعرب والوالي ، وهو أفسد خراسان على قتيبة وهو واثب بك مفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه القلاع»[٣٨] .

ويبدو ان حيان كان نشطاً للغاية ، اذ كان يتردد على جميع الذين يضمرون الحقد على قتيبة ، وبخاصة وكيع ، وحسبك هذا دليلاً آخر يضاف الى الأدلة التي تثبت تآمر هذا الفارسي ، وقد اشار الى ذلك البلاذري قائلاً : «وكان السفير بينه وبينهم قبل ذلك حيان مولى مصقلة بن هبيرة» . ويذكر اليعقوبي : «فاتفقت كلمتهم عليه ومع القوم يومئذ حيان النبطي فوثبوا بقتيبة فقتلوه»[٤٠] .

وصلت الأخبار للقائد قتيبة ، ان الذي يقود الناس للتمرد وتحريضهم على نزع الطاعة هو حيان ، فكان القرار الذي اتخذه قتيبة بقتل حيان هو قرا صائب من جميع الوجوه ، حيث ادرك قتيبة بفكره الثاقب ونظرته الشمولية البعيدة مايخطط له حيان من مؤامرة ضد العرب ، نعم كان قتيبة ما يريده حيان من تحقيق ما عجز عليه ابناء جلدته في ميدان المعارك العسكرية ، وهو القائد الذي لم تنكس له راية ابداً طيلة مايقارب العشر سنوات[٤١] من فترة حكمه لخراسان فأراد حيان ان يأتي بطريق ملتوية ، مستغلاً بعض الخلافات الدائرة بين الوالي وأفرادٍ من بعض القبائل العربية .

«وقيل لقتيبة : ليس يفسد أمر الناس الا حيان فاراد ان يغتاله - وكان حيان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيئاً »(٤٢) . ومن خلال هذا النص يظهر ان حيان قد اشرك حتى الذين يعملون ضمن دار الأمارة من خدم ، وهم على مايبدو من الفرس ، فكانوا بمثابة الجواسيس ، يجمعون المعلومات ، وما يتخذه من قرارات خاصة فيما يخص معالجة المتآمرين على السيادة العربية ، من الفرس والذين آلت نفوسهم الضعيفة من العرب ، المتعاطفين مع حيان ومساندته بالرجال ، وتسهيل مهمته في القضاء على القائد قتيبة الذي هو رمز العرب وانتصاراتهم في خراسان «فدعا قتيبة رجلاً فامره بقتل حيان وسمعه بعض الخدم فأتى حيان فاخبره فارسل اليه يدعوه فحذر وتمارض»(٤٣) . ودليل آخر : «فارسل حيان الى وكيع : أرأيت ان كففت عنك او أعنتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حياً ومادمت والياً ؟ قال نعم»(٤٤) . ويتضح دور حيان الفارسي في التآمر على قتيبة اثناء محاصرة المتمردين لقتيبة «فقال للعجم - حيان - : هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً قالوا نعم»(٤٥) «فقال عبد الله بن مسلم لحيان : احمل على هذين الطرفين . قال : لم يأن لذلك ، فغضب عبد الله ، وقال : ناولني قوسي ، قال حيان ليس هذا يوم قوس : فارسل وكيع الى حيان اين ماوعدتني ؟ فقال حيان لابنه : اذا رأيتني قد حولت قلنسوتي ، ومضيت ، نحو عسكر وكيع ، فمل بمن معك في العجم إليَّ . فوقف ابن حيان مع العجم فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعجام الى عسكر وكيع فكبر اصحابه»(٤٦) . «ثم ان حيان هذا نفسه بعث بعسكر الى فرغانة فقتلوا قتيبة ويسمون حوض حيان بأسمه»(٤٧) . ويذكر الطبري عن ابي مخنف ، ان وكيعاً ومن

بالتزامه تجاه حيان «وفى وكيع لحيان النبطي بما كان اعطاه»[48] .

ونورد دليلاً آخر يؤكد التآمر الفارسي بقيادة حيان النبطي على السلطة العربية وممثلها القائد العربي قتيبة ، هذا الدليل يصرح به حيان بنفسه بانه كان العامل في افساد خراسان وقتل قتيبة ، وايقاف عمليات الفتوح العربية ، ووقف المدال العربي الاسلامي نحو الشرق . وقد جاء ذلك من المحاروة التي دارت بين حيان وابنه مقاتل فقال الأخير : «يا أبت تكتب الى مخلد[49] وتبدأ بنفسك قال : نعم يابني فان لم يرض لقي مالقى قتيبة»[50] .

وهذا دليل آخر ، هو : «قال سعيد بن خالد ثم قدم حيان النبطي البصرة يريد الحج فتعرف مسلم بن الشمردل الباهلي تحته برذوناً زرداً رآه تحته ايام عدي أبن أرطأة فضبث به (اي تشبث) فرفعهما الى اياس بن معاوية قاضي البصرة قال فجعل حيان ينفض بنائق قبائه ويقول اخاصم في برذون ودم قتيبة في بركات قبائي واعان وكيع حيان وشهدله . . . »[51] . ويتضح من النص ، اعتراف كامل بتدبير المؤامرة على قتيبة ، وان حيان هو المسؤوال الأول في هذا التدبير .

وهكذا مرت المؤامرة وذهب ضحيتها القائد العربي قتيبة بن مسلم وبفقدانه توقفت عمليات الفتوح العربية الأسلامية وخسرت الدولة العربية في زمن الأمويين قائداً محنكاً ولامعاً وقديراً .

ودفنت جثة قتيبة في فرغانة[52] ، في ناحية رباط سرهك (اي رباط القائد) وان قبره موجود في قرية تسمى كاغ - (اي القصر) ، وتأتي لزيارة مرقده جماعات كثيرة من جميع ولايات ماوراء النهر

ان مصرع قتيبة بن مسلم الباهلي لم يكن حدثاً صغيراً ، وانما كان من الأحداث التي اثرت على السلطة الأموية في خراسان ، وكذلك على

السيادة العربية في الوقت نفسه ، وبخاصة في مجال سياسة عمليات التحرير العربية في اواسط اسيا ، وبفقدانه ترك نتائج سيئة على السيادة العربية في اقليمي خراسان وماوراء النهر . ومن هذه النتائج :

أولاً : ـ بقيت مدينة كاشغر الحد الفاصل بين الدولة العربية الاسلامية والأمبرطورية الصينية ، ولم يذكر المؤرخون أحداً واصل العمليات العسكرية التي قام بها قتيبة ، واستمر في الزحف نحو الشرق .

ثانياً :ـ كان موت قتيبة كما عبر عنه جب «لا توقفاً للفتوحات في اسيا الوسطى مدى ربع قرن ولكن كان بدء انحسار وتراجع»[٥٣] .

ثالثاً :ـ التوقف عما رسمه الوليد بن عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي من خطة المشروع الكبير في التوغل الى الشرق ، بجانب توغل العرب من جهة الغرب بقيادة موسى بن نصير .

رابعاً :ـ ظهور الأحقاد الفارسية بصورة جلية اكثر من ذي قبل وبخاصة في تنفيذ مخططاتهم التآمرية في القضاء على العرب واخراجهم من خراسان ناهيك عن نواياهم في القضاء على الأسلام .

خامساً : ـ اصبحت ولاية خراسان اكثر ولايات الأمويين اضطراباً ، ولم تستقر فيها الأمور ، بعد ان بذل الحجاج وقتيبة من جهود مضنية في توحيد القبائل العربية وتوجيهها نحو الجهاد .

سادساً : ـ الحق بالسيادة العربية في هذا الأقليم وبخاصة المدن التي فتحها وعلى القواعد العسكرية ضربة قاسية .

(١) بارتولد ، تركستان ، ص ٣٠٠ ، فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٢٢ ، كتابجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، ص ٧٥ . العش ، يوسف ، الدولة الأموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان : ص ٢٥٠ ، (دمشق ـ ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .

(٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .

(٣) صدام حسين ، العرب والدور القيادي لرسالة الأسلام ، ص ١٤ ، (بغداد ـ ١٩٨٣ م) .

(٤) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٧٣ .

(٥) ن . م . ص ٣١ ـ ٧٢ .

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٠٣ .

(٧) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٨٠ .

(٨) ن . م . ص ٧٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٥ .

(١٠) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ .

(١١) البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٢٦ .

(١٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ .

(١٣) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٣١ .

(١٤) ابن كثير ، البداية ، حـ ٩ ، ص ١٤٩ .

(١٥) كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، ص ١٢٢ . فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص ٤١٦ .

(١٦) الخضري ، محمد ، محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية ، حـ ١ ، ص ١٧٥ ، (القاهرة ـ ١٣٧٦ هـ) .

(١٧) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

(١٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٢٣ ـ ٥٢٥ . ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، حـ ٣ ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

(١٩) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٥٣ .

(٢٠) ن . م . حـ ٧ ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٢١) ن . م . حـ ٧ ، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

(٢٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٥٢٠ .

(٢٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، حـ ٧ ، ورقة ١٩ أ .

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٥ ، ص ٢٤ .

(٢٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٢٨ .

(٢٦) ابو عبيدة ، النقائض ، حـ ١ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ . البلاذري ، انساب الاشراف ، حـ ١٠ ، ورقة ٣٦ أ .

(٢٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠٨ .

(٢٨) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٢٩ . حميدة ، سيف بني مروان ، ص ١٠٣ . فروخ ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، ص ١٦٦ . ، النجار ، الدولة الأموية في الشرق ، ص ١٤١ . فيصل ، حركة الفتح ، ص ٢١٨ . E.I.S.V. (Kutaib).b. Muslim. by K.V.Zettersteen. P.1165.

(٢٩) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤١٩ .

(٣٠) عبود ، آل المهلب ، ص ٩٠ . ، فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤١٨ .

(٣١) مختصر تاريخ العرب ، ص ١٢٦ .

(٣٢) النص ، العصبية القبلية ، ص ٢٨٦ .

(٣٣) الثورة العباسية ، ص ١٣٣ .

M.A. Shaban. Islamic History. V.I, London, Newyourk P. 122, 176.

(٣٤) ابن خياط ، تاريخ ، ص ١٥٢ ، اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣٥) الطبري ، تاريخ ، ص ٤ ، ص ١٩٠ . ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٨٥ ، ص ٨٩ .

(٣٦) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٢٠ .

(٣٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥١١ ـ ٥١٢ .

(٣٨) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٥ ، ص ٩٧ .

(٣٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، حـ ١٠ ، ورقة ٣٦ أ .

(٤٠) اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ٣ ، ص ٤١ .

(٤١) ابن كثير ، البداية ، حـ ٩ ، ص ١٤٩ .

(٤٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥١٢ .

(٤٣) ن . م . حـ ٦ ، ٥١٢ .

(٤٤) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥١٢ .

(٤٥) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥١٢ .

(٤٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٥٢١ .

(٤٧) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٨٥ .

(٤٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥١٨ .

(٤٩) يقصد به مخلد بن يزيد بن المهلب .

(٥٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٤١ .

(٥١) ابو عبيدة ، النقائض ، حـ ١ ، ص ٣٦٩ .

(٥٢) يخطأ فامبري حين يقول «ولكنه اصر على البقاء في مرو معتمداً على جنده» . اذ ان قتيبة عندما قتل لم يكن في مرو ، وانما كان في فرغانة . انظر : تاريخ بخارى ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٥٣) Gibb , Op , Cit . , P . 54

سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٣٨ ، (الاسكندرية - ١٩٧٤ م) .

الفصل الخامس

صفات القيادة لدى قتيبة

أ - الصفات العسكرية

ب - الصفات العقلية

أصالة الراي وبعد النظر في المجال العسكري
الابـــداع
سرعة اتخاذه القرار الحازم

جـ - الصفات المعنوية

الشجاعة والثقة بالنفس
قوة الشخصية
ملكته الادبية

صفات القيادة لدى قتيبة :

يرز في تاريخ العرب المسلمين قادة عظام ذوو معرفة أصيلة بامور الحرب ومقتضياتها الأساسية ، أمثال خالد بن الوليد ، وسعد بن ابي وقاص ، وأبي عبيدة ، وعمرو بن العاص الذين أضافوا الى الموروث العسكري ، ابداعات جديدة في فن الحرب ، وكانت مناراً للقادة التابعين الذين ظهروا في عهد الدولة العربية الأسلامية في زمن الأمويين ، وبالتحديد في عهد الوليد بن عبد الملك ، الذي امتازت فترة حكمه بالهدوء والأستقرار ، فبذل الجهود في تحقيق الهدف الكبير الا وهو حمل الرسالة الاسلامية ، ونشرها بين الناس ، فأدى ذلك الى ظهور جيل آخر من القادة البارزين ، الذين اعطوا بمجهوداتهم العسكرية ، الكثير من الابداع والابتكار في فنون الحرب ، واصبحت هناك بحق مدرسة متألقة ، أوصلت الفتوحات العربية الأسلامية الى اقصى الشرق والى الغرب عند حدود فرنسا .

من هذا الجيل كان القائد العربي قتيبة بن مسلم الذي قاد الجيوش العربية الاسلامية طيلة عشرة اعوام لم تنتكس له راية ابدا وقاد العرب المسلمين من نصر[1] الى نصر في بلاد تعد من اعتى اعداء الاسلام ، وأقساها ظروفاً من حيث الأرض والمناخ ، فنجاح قتيبة في الفتوحات العربية خير دليل على أمتلاكه الشروط الضرورية لتحقيق النصر ، اذ توفرت فيه صفات القيادة العسكرية وأولها :

سعة الأطلاع :

من اولى صفات القيادة ، سعة الأطلاع وهي سمة اساسية في شخصية اي قائد بارز ، ولايقتصر مفهوم الأطلاع على الناحية

العسكرية فقط ، وانما يتعداها الى الأمور السياسية والأدارية التي تعد جزءاً اساسياً من مكملات القيادة العسكرية ، وكان قتيبة واسع الأطلاع في المجال العسكري ، وقد اثبت ذلك فعلاً عندما كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي في اختياره معسكراً له ، للقاء شبيب الخارجي سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦ م[٢] ، وقد اكد قتيبة للحجاج وجميع قادة الجيش انذاك بحسن اختياره . والذي كان بالتأكيد قد درسه من جميع الجوانب التي تؤدي الى تحقيق النصر الكامل وايقاع الهزيمة المرة بجيش شبيب وهذا ماحدث فعلاً .

وقد اثبت ايضاً سعة اطلاعه في الأمور العسكرية نجاحه في القضاء على تمرد عمربن ابي الصلت في الري ، وهي التجربة على صعيد تسلمه ولاية الري[٣] .

وفضلاً عن ذلك كان قتيبة واسع الأطلاع في الأمور الأدارية ومتمكناً منها ، ومن الأدلة التي تؤيد ماذهبنا اليه ، اختياره والياً على الري ، في وقت كانت ولاية خراسان ليزيد بن المهلب من قبل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت حركة ابن الاشعث قائمة ، وذلك سنة ٨٢ هـ/ ٧٠١ م فضلاً عن خروج عمر بن ابي الصلت على السلطة ، وخلعه للخليفة عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي امير العراق والمشرق ، فتمكن قتيبة من تسيير امور الولاية على احسن مايرام ، ونجح نجاحاً باهراً في ادارته لولاية الري ، وقضائه على جميع الفتن ، وتثبيت السيادة العربية على المناطق المجاورة لها . وما استمراره في ولاية خراسان هذه المدّة الطويلة والتي امتدت مايقارب السنوات العشر من ٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤ م ، لخير دليل على مايملكه من اطلاع واسع في كافة الامور الأدارية والسياسية

والعسكرية ، والتي اهلته ان يكون من قادة تلك الفترة البارزين نتيجة ماقام به من اعمال جليلة في مجال الفتوحات العربية الاسلاميـة وفي خدمة الهدف الكبير الا وهو نشر الاسلام في ربوع هذه البلاد .

البراعة العسكرية :

ان انتصار قتيبة بن مسلم في المعارك كافة التي خاضها لاترجع بالدرجة الأساسية الى ضعف جيوش بلاد ماوراء النهـر اذ انها كانت قوية ، وانما جاءت نتيجة توفر العناصر القيادية عند قتيبة ، وبراعتـه العسكرية ، ودقة تنظيمه للجيش ، ورفع معنوياته[٤] .

وتتجلى براعة قتيبة العسكرية في تنظيم وتعبئة الجيش ، في معركة بيكند ، فقد عبّأ جيشه «ميامين ومياسر وقلباً وجناحاً وكميناً ثم زحف بهم الى الكفار»[٥] .

وتتمثل براعته في استخدامه اكثر من عين في جمع المعلومات عن العدو ورصد تحركاته ، فضلاً عن استعماله العيون على عيون آخرين يبحثون على اعمالهم ، بحيث لايعرف الأوائل الأواخر[٦] . وهذا ربما ساعد قتيبة في كشف تنذر ، فقد نقل الى قتيبة خبراً كاذباً عن عـزل الحجاج بن يوسف من قبل الخليفة ، وتعيين والياً آخر بدله . خاصة بعد ان وقع تنذر بيد العدو ، فطلب ملك بخارى من تنذر ان يساعده في ترك قتيبة محاصرة المدينة والجلاء عنها ، وقد وافق تنذر عـلى ذلك مقابل مبلغ من المال قدره عشرة آلاف درهم[٧] . فقتله قتيبة وهذه الحالة التي تمت فيها معالجة الموقف ، كانت من اجل الحفاظ على معنويات الجيش والروح القتالية للمقاتلين .

وموقف آخر يدل على براعته العسكرية وهو عندما حاصر مدينة

بيكند ، وقد طال الحصار ، فأمر بحفر حفرة تحت السور وقد انجزت بنجاح[٨] .

في سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م ، تم تحرير مدينة راميثنة صلحاً ، وفي اثناء رجوعه الى مرو كان الترك وأهل الصغد واهل فرغانة ، تعرضوا لمؤخرة الجيش الساقة وعليهم عبد الرحمن بن مسلم ، وقد اشتبك معهم بقتال عنيف ، كاد الأعداء يلحقون الهزيمة بعبد الرحمن ، لولا وصول القائد قتيبة ، بعدما وصلت اليه اخبار التعرض وكان وصول قتيبة بسرعة حركة بارعة ، فدخل ميدان المعركة ، عندما رأى المقاتلون العرب القائد قتيبة ، زادت معنوياتهم القتالية ، وثبتوا مكانهم وفي ساعات معدودات تمكنوا من انزال الهزيمة المرة بالاعداء[٩] .

ويضيف قتيبة موقفاً آخر في براعته العسكرية ، في تحرير بخارى سنة ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م عندما تمكن بنوتميم من ايقاع الهزيمة في اهل بخارى فنادى قتيبة : «أما ترون العدو منهزمين فما عبر احد ذلك النهر حتى ولى العدو منهزمين ، فاتبعهم الناس[١٠] .

وفي اثناء محاصرة مدينة سمرقند في سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م ، بدأ بمهاجمة المدينة وقد وضع عليها المجانيق ورماها فدك اسوارها ، استطاع المقاتلون العرب احداث ثلمة في سور المدينة ، الاان سكان سمرقند تمكنوا من سدها بغرائر الدخن ، فوقف رجل من اهل سمرقند على الثلمة ، وبدأ في شتم العرب وقتيبة ، وهنا برزت براعة قتيبة في معالجة هذه الحالة ، فطلب قتيبة من رماته الماهرين ان يختاروا اثنين ، وفعلاً فقد تقدم اثنان من الرماة ، فقال قتيبة لهما : «ايكما يرمي هذا الرجل فان اصابه فله عشرة آلاف[١١] . . . وتقدم الآخر ، فرماه فلم يخطىء

عينه فامر له بعشرة آلاف» . وهذا الأجـراء في تكريم المتميـزين من مقاتلي الجيش ، له الأثر الكبير في رفع معنويات المقاتلين والروح القتالية لديهم ، مما يؤدي الى سرعة انهاء المعركة ، وحسمها في صالح الجيش العربي واحراز النصر المظفر .

ولقتيبة بن مسلم موقف بارع ، تتضح فيـه عبقريتـه وبراعتـه العسكرية الفذة في عملية اعداد الخطط العسكرية المبتكرة والجديـدة والتي اضافت الى الفن الحربي العربي ، جوانب وأساليب أصيلة تدل على معرفة العرب بأمور الحرب ومقتضياتها الأساسية ، هذا المـوقف حدث عندما اسرع قتيبة الى مهاجمة مدينة سمرقنـد وفرض الحصـار عليها ، قبل وصول النجدات العسكرية من المناطق المجاورة ، الا ان غوزك ملك سمرقند تمكن من ارسال رسول الى الشاش وفرغانة طالباً منهم المساعدة ومحذراً اياهم بان العرب اذا سيطروا على سمرقند فان هدفهم القادم سيكون الشاش وفرغانـة ، وان سمرقنـد هي الحصن المتقدم لهم ، فيجب تقويتها والقضاء على محاولة قتيبة هذه ، لذلـك اختار اهل الشاش وفرغانة ابناء الملوك والمرازبـة من المتمرسـين على القتال ، والمعروفين بالشجاعة والقوة لهذه المهمة ، فلما وصلت اخبار هذه القوة عن طريق العيون التي نشرها قتيبة في ارجاء البلاد كافة ، اختار قتيبة ستمائة مقاتل من اشجـع الناس ، المعـروفين بصـولاتهم الجـريئة ، وعـين عليهم اخاه صـالحاً ، وزودهم بخـطة المواجهـة ، وملخصهـا عندمـا يقتـرب الاعـداء مسـافـة فـرسخين من معسكـر المسلمـين ، حتى يكمن لهم ، بان يجعـل ثلاثـة كمـائن ، الأول في الوسط ، والثاني والثـالث على جنـاحي الوسط ، وبعـد وصول قـوة الاعداء ومشاهدتهم لصالح اشتبكوا معه فما كان من الجناحين الا ان

قاما بهجوم عاصف أوقعوا الرعب في صفوف الأعداء ، واضطربت احوالهم لأنهم لم يتوقعوا مثل هذه الخطة البارعة المحكمة ، واخيراً تم احراز النصر الحاسم ، ولم ينجوا من الاعداء احد الا الذي وقع في الاسر[١٢] .

وعندما ضرب حصاراً على مدينة شومان ، امر قتيبة بوضع المجانيق وكان من ضمنها منجنيق يسمى «الفحيحاء» فرمى القلعة بالحجارة ، فهدم الأسوار ، وتمكن من فتحها .

وتتجلى براعة قتيبة العسكرية ايضاً في مطاردته لنيزك ، بعدما نزل شعب خلم تمكن قتيبة من القيام بعملية التفاف من وراء الشعب ، بهجوم ليلي مفاجىء ومباغت ، فتمكنت القوة المهاجمة من ايقاع الهزيمة بالأعداء ، المكلفين بحراسة مدخل الشعب . وهرب من نجا منهم ، فاستطاع قتيبة دخول الشعب ، الا ان نيزك ترك موضعه هذا حتى نزل الكرز . وقد حقق قتيبة ببراعته هذه نجاحاً كبيراً في اخراج نيزك من موضعه الحصين دون ان يدخل معه بمعركة ، وهذا مايدل على براعته العسكرية[١٣] .

العلاقة بين القائد وجنده :

من الأمور الأساسية والمهمة في صفات القائد ، ان تكون هناك علاقات متينة بينه وبين جنده مما يساعده على تحقيق النصر خلال المعارك الحاسمة ، فان النصر يتم أولاً وقبل كل شيء في قلوب المقاتلين ، وليس من الصحيح النظر الى الجيش على انه مجموعة من الأفراد المزودين بعدد كبير من السيوف والدروع والرماح والمنجنيقات والخيول والعربات ، فان قوته ليست في مجموع هؤلاء ، بل القوة الحقيقية

والفعلية ، تنبع مما هو اعظم بكثير من مجموع الأفراد والاسلحة المختلفة ، هذه القوة تكمن في الروح المعنوية والروح القتالية العالية والثقة المتبادلة بين القائد والجند[١٤] ، هذه الروح تنميها وتزيدها قوةالعلاقة الحسنة بين قادة الجيش والجند ، فتكون بذلك بمثابة الدعامة القوية والقاعدة المتينة التي تقود الى النصر الذي يحققه القائد في ميدان المعارك .

وقتيبة بن مسلم الباهلي ، من طراز القادة العظام الذين يولون هذه الناحية اهمية كبيرة ، فيدخلها في حساباته عند وضع اي خطة عسكرية . وقد برزت عدة شواهد ومواقف توضح مدى ماكان يقوم به قتيبة في تقوية علاقاته مع افراد جيشه[١٥] ، بمختلف الرتب . وكان ايضاً يضع في اوليات حساباته ، مصلحة المقاتل ، ومن الأدلة البارزة على ذلك ، انتصاراته الساحقة في ميادين القتال وفتح العديد من المدن ، حتى دخل اراضي الأمبراطورية الصينية[١٦] ، حاملاً لواء الاسلام .

وعندما فتحت بيكند ، ودخلها الجيش ، وجد قتيبة الكثير من مخازن السلاح والعتاد ، فلم يجعلها ضمن الغنائم وانما سلّح به افراد جيشه لكي يزدادوا قوة ومنعة[١٧] .

لم يحدث قط ان شغب عليه احد من الجند ، أو خرجت عليه طائفة من الجيش او تمرد احد عليه ، بل على العكس كانوا يظهرون له حبهم وتنفيذهم لجميع الواجبات التي تناط بهم ، واحترامهم العميق وطاعتهم له[١٨] .

واخيراً كان قتيبة حريصاً على بناء علاقات جيدة مع جنده ، فكانت رعايته للمقاتلين وعوائلهم عاملاً مهماً في اندفاع الجند لأنجاز المهمات الصعبة[١٩] .

حضوره الدائم في المعارك :

القائد الميداني الناجح الذي يقضي معظم وقته مع وحدات جيشه ، ويتقدم مع الجنود ، وينتقل من موضع الى موضع ، يكون بالتأكيد قد ضمن النصر[٢٠]

هكذا كان القائد قتيبة بن مسلم حاضراً بين جنده ، يشاركهم كل صغيرة وكبيرة ، ويتعرض مثلما يتعرض اليه اي مقاتل آخر[٢١] . وكان شغوفاً بمشاركته لقطعاته شرف المعركة في الجبهات الأمامية[٢٢] . هذا الحضور اكد ثقة جنوده المطلقة وفي الوقت نفسه رفع من معنوياتهم الى درجة عالية جداً [٢٣] ، وفضلاً عن هذا فقد ساعد وجوده مع قطعات جيشه الأمامية ، بالحصول على معلومات دقيقة تساعده على معالجة أي امر طارىء وسريع .

ان حضور القائد مع جنده ، بامكانه ان يلمس عن كثب مشاكل وحدات الجيش ، فيتمكن من وضع الحلول المناسبة لها ، ويكون قادراً على اسداء المعاونة فيصير بذلك الرفيق المخلص لجنوده .

هناك بعض الشواهد الحية التي تقدمها مصادرنا التاريخية على حضور قتيبة بن مسلم بين جنوده ، ومشاركتهم المعارك الضارية منها : في سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م عندما فتح رامثينة صلحاً ، وفي اثناء رجوعه الى مرو تعرض له اهل الترك ومعهم السغد واهل فرغانة[٢٤] .

وموقف آخر على حضور القائد قتيبة ، وتعرضه للخطر الجسيم الذي كاد ان يودي بحياته الا ان ذلك لم يمنعه من مقارعة المشركين وتوجيه الضربات المميتة لهم ، هذا الموقف حدث عندما حاصر بخارى[٢٥] .

وحالة اخرى في مشاركة جنده القتال ، مشاركته القوة المنتخبة لملاقاة اهل الشاش وفرغانة ، بقيادة اخيه صالح الذي اشتبك مع قوة الأعداء من ابناءِ الملوك المرازبة، وكان القتال بينهما شديـداً[٢٦] فعن حضور القائد قتيبة المعركة يحدثنا زهير بن حيان قائلاً : «انا لنختلف عليهم بالطعن والضرب اذ تبينت تحت الليل قتيبة ، وقد ضربتُ ضربة اعجبتني وانا انظر الى قتيبة فقلت : كيف ترى بابي انت وامي قال : اسكت دق الله فاك قال : فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد»[٢٧] .
ويستمر زهير في روايته قائلاً : « . . . واكرمني قتيبة من غير ان يكون باح لي بشيء ، وقرن بي في الصلة والاكرام حيان العـدوي وحليساً الشيباني ، فضننت انه رأى منهما مثل الذي رأى مني وكسر ذلك اهل السغد فطلبوا الصلح»[٢٨] .

ان حضور القائد قتيبة المعركة تقرب عليه امور عديـدة ، منها علمه بان المعركة ستكون من الشدة والقوة ، بحيث يستوجب عليـه الحضور ومشاركة المقاتلين لأنهاء القتال بالنصر المظفـر ، ومنها ايضـاً معالجة اي حدث طارىء ، ينشب اثناء سير القتال ، وأصدار القرار المناسب ، دون ان يكون ذلك عبئاً ثقيلاً على صالح قائد القوة . وناحية اخرى يتوقف عليهـا النصر ، الا وهي الـروح المعنويـة للمقاتلين ، فبحضور القائد ، اعطى زخماً جديداً ، ونفخ روحاً عاليـة في نفوس المقاتلين زادتهم ثقة بقائدهم وبنفـوسهم ، في مواصلة القتـال وانهائه بسرعة ، وتحقيق النصر والقضاء على العدو والحاق الهزيمة به . فضلاً عن ذلك تبرز نقطة جديرة بالأهتمام والعنايـة في حضور القـائد هي معايشة القائد قتيبة للجنود بما يفعلونه ويقدمونه من ضروب الشجاعة ، ويـرى بأم عينـه الأبطال المتميـزين الـذين ابدوا بكـل مالـديهم من

الشجاعة النادرة متجاوزين كل حدود ، واملهم الوحيد هو ان يرزقهم الله الشهادة ، وهم يجاهدون في سبيل العقيدة والمبادىء ، التي جاءوا من اجلها قاطعين كل هذه المسافة الطويلة .

نتيجة لما قدمه المقاتلون المتيزون ، فقد كافأهم القائد قتيبة واجاز في اكرامهم وقال لهم : «جزاكم الله من قوم خيراً فلقد جاهدتم فأحسنتم الجهاد وابليتم فاحسنتم البلاء»[٢٩] .

الأيمان بالقضية التي يحارب من اجلها :

ايمان القائد بعدالة القضية التي يحارب من اجلها ، تعد من العوامل المؤثرة في تحقيق النصر ، فكان قتيبة وجنده يؤمنون ايماناً راسخاً بانهم على حق في قتالهم الأعداء ، مما مكنهم من احراز النصر الحاسم ، ويدل ذلك استشهاده بالآيات القرآنية الكريمة ، التي ذكرها قتيبة في خطبته للجند في اول لقاءٍ له معهم حيث قال : «ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر ، بحديث صادق وكتاب ناطق فقال «هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[٣٠] ، ووعد المجاهدين في سبيله احسن الثواب واعظم الذخر عنده فقال : «ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله» الى قوله «احسن ماكانوا يعملون»[٣١] . ويختم خطبته بذكر منزلة الشهيد ، وعظمة الشهادة واكرامه «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون»[٣٢] .

ويتجلى ايمانه الراسخ بالمباديء والعقيدة ، التي قاتل من اجلها ، عندما جمع الأصنام من جميع معابد سمرقند ، ووضعها امامه ، واخذ بيده شعلة النار واحرقها جميعاً فاسلم بذلك اعداد كبيرة من سكان

مدينة سمرقند[٣٣] . فالأيمان بالعقيدة والمبادىء ، التي من اجلها يقاتل الجند والقائد ، تخلق في صاحبها روح التضحية وتحمله على ايثار الموت على الحياة وتثير فيه الشجاعة التي تمكنه من ملاقاة عدو يفوقه عدداً وعدة[٣٤] .

الكتمان :

صفة اخرى تحلى بها قتيبة بن مسلم تعد من سمات القيادة العسكرية ، وهي اتخاذ اسلوب المباغتة ضد العدو[٣٥] ، لأن المباغتة تعتمد اعتماداً كبيراً على سرية القرارات المتخذة في اعداد اي هجوم مقبل أو اي هدف منتخب ضمن خطة القائد ، ولقتيبة شواهد عديدة في استخدامه هذا العنصر المهم في الحرب .

فبعد فتح خوارزم سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م تقدم اليه احد قادته وهو المجشر بن مزاحم السلمي ، طالباً الأخلاء به ، وبعد ان انفرد بقتيبة ، اخبره قائلاً : «ان أردت السغد يوماً من الدهر فالآن فهم آمنون من ان تأتيهم من عامك هذا ، وانما بينك وبينهم عشرة أيام . قال : اشار بهذا عليك احد ؟ قال : لا ، قال : فأعلمته احداً ؟ قال : لا . . .» . فطلب منه كتمان الأمر وحذره من افشائه[٣٦] . وفعلاً فقد التزم هذا القائد بما امره قتيبة ، لأن افشاء مثل هذا العمل بين الجند قد يمهد السبل في وصوله الى العدو ، خصوصاً وان العدو قد بث عيونه لرصد تحركات قتيبة لمعرفة الهدف الذي يبغيه والتوجه اليه ، مما جعل العدو يقوم بالأستعدادت الكافية لصد هجوم الجيش العربي ، بل ربما اكثر من ذلك يقوم فيباغت الجيش العربي بهجوم مفاجىء لم يتوقعه قتيبة .

ب ـ الصفات العقلية

اصالة الراي وبعد النظر في المجال العسكري

ان الأنجازات الكبيرة التي تحققت في خراسان وماوراء النهر دليل آخر على اصالة الرأي عند قتيبة ، وهي صفة اساسية من صفات القائد الذي يقع عليه الأختيار لتسلم اي منصب سواء اكان ادارياً أم عسكرياً وكان الخلفاء يؤكدون على هذه الناحية .

فعندما صدر أمر تعيين قتيبة والياً على خراسان في نهاية سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ووصوله اليها في بداية سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، استعرض قتيبة جميع الحملات التي قام بها الولاة الذين سبقوه في ولاية خراسان[٣٧] . ودرسها من جميع الجوانب ، وهذا مايؤكد اصالة رأيه وحسن درايته بالظروف المحيطة بخراسان ومارواء النهر ، وقد اثبتت الاحداث ذلك .

وأمر آخر اثبتت الأيام صحته ، فقد توصل قتيبة الى ان خراسان لاتستقر وتهدأ الأمور فيها ، حتى يمكن الأنطلاق في عملية الفتوح مالم يستعمل فيها سياسة الضبط .

ومن اصالة رأيه ايضاً قضاؤه على الذين وافقوا نيزك في عقد حلف ضد قتيبة وضد وجود العرب المسلمين في هذا الأقليم ، وقد قضى عليهم واحداً واحداً ، مما ادى الى عزل نيزك عن جميع حلفائه وممن وافقوا على ابداء المساعدة اليه .

لقد كان للسياسة التي اتبعها قتيبة بن مسلم اثر كبير في تحقيق اهدافه خاصة وانه قائد عظيم ادرك ان ليس بلأمكان تحقيق كل شيء عن طريق الحرب ، فاذا كان الصلح يحقق كل ما يتوخاه فانه يوافق على

ذلك ، لأن فيه حفاظاً على ارواح العرب المسلمين وتجنباً للخسائر ، لذلك فهي صفة اساسية من صفاته ، والأمثلة على ذلك كثير منها : عقده الصلح مع طرخون ملك الصغد بدون ان يخسر جندياً واحداً ، حدث هذا بعد فتح بخارى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م[٣٨] . وعقده الصلح مع رتبيل سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م . وايضاً فان ملك خوارزم طلب الصلح من قتيبة سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م ، عندما توجه لفتح خوارزم فقد رأى ان الصلح حقق الأهداف المتوخاة فوافق عليه[٣٩] .

ومن آرائه الصائبة توزيعه السلاح الذي تم الحصول عليه من مخازن بيكند ، ضمن الغنائم على الجند . وضمن هذه الناحية هناك موقف آخر يعبر عن اصالة رأيه ، عندما قرر الزحف على سمرقند وفتحها بعدما انتهى من فتح خوارزم سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م دون تركها الى العام القادم[٤٠] .

اما الصفة القيادية الأخرى ، وهي بعد النظر والتي تعد ركيزة اساسية لأي قائد عسكري او اداري ، كانت هي الأخرى من صفات قتيبة المتميزة .

بعد ان عقد الصلح مع اهل بيكند ، وابتعد عن المدينة مسافة معينة ، قام سكان المدينة بقتل العامل المعين من قبل قتيبة والخروج عن الطاعة ، وما ان وصلت الأخبار الى قتيبة ، حتى رجع بأقصى سرعة ، وضرب حصاراً شديداً حول المدينة ، وعندما طلبوا الصلح مرة ثانية . رفض بكل قوة وصمم على تحرير المدينة عنوةً ومعاقبة المسيئين والمحرضين على التمرد . ونجح في تحرير المدينة . ان نظرته الثاقبة البعيدة املت عليه اتخاذ مثل هذا الأصرار على فتح المدينة ، ولو تركها بدون معاقبة المتمردين لاقتدت بقية المدن الأخرى فيما وراء النهر بما قام

اهل بيكند ، وان عمله هذا جعله بمثابة درس قوي لمن اراد الخروج عن الطاعة وقيامه بالأضطرابات والفتن .

وتتجلى نظرته البعيدة المدى عندما اقدم في قتل نيزك ، اذ اراد أن يحرض مدن طخارستان على قتيبة ، والقضاء على العرب والاسلام ، خصوصاً بعدما ارتد عن اسلامه[41] .

ومن الأعمال التي قام بها قتيبة في ماوراء النهر والتي برهنت بشكل واضح على بعد نظره ، هدمه بيوت الأصنام والنيران ، رغم ماتحدث به غوزك ملك سمرقند ، محذراً بعد الأقدام على مثل هذا الأجراء . «وكانت الاعاجم تقول : ان فيها اصناماً من استخف بها هلك»[42] ، الا ان قتيبة تقدم بقلب ملؤه الأيمان بالله والعقيدة وبمبادىء راسخة فاشعل النار فيها وما هي الا لحظات حتى اصبحت رماداً ، وعندما شاهد الحاضرون من سكان المدينة ، عدم اصابة قتيبة بأي سوء ، حسب قول البلاذري «أسلم منهم خلق»[43] . وهذا مايريد قتيبة تحقيقه فقد كان مصيباً ، ونظرته كانت سديدة .

ومن اعماله التي تنطوي على بعد نظر ، في تحقيق الأهداف وبخاصة في نشر الاسلام ، ما أقدم عليه في اسكان العرب في سمرقند مؤكداً على علماء الدين المتبصرين بأمور الدين الاسلامي والرجال المتعلمين ، منهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير[44] . وهذا بدوره يجعل امر اختلاط السكان المحليين بالعرب امراً ميسوراً ، بخاصة بعد اطلاعهم على احوال العرب واخلاقهم وعاداتهم ، وكذلك تبسيط مفاهيم الدين من قبل علماء الدين العرب . ان ثمار هذا العمل تحقق بعد قتيبة في السنين القبلة .

الأبــــداع

من اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في القائد هي الأبداع ، وذلك نتيجة تنوع المواقف والاحداث التي تواجهه في ميادين القتال ، وفي المجال الاداري ، وان يمتلك عقلية مبدعة ومبتكرة في مجال وضع الخطط العسكرية ، ومعالجة الأمور الطارئة في ميدان المعركة .

ان القادة العسكريين الذين خلدهم التاريخ ، كانوا مبدعين ومجددين ، وقتيبة واحد من اولئك القادة العظام الذين اضافوا الى الفن الحربي العربي الاسلامي الكثير من الأبداعات والأبتكارات حيث خلف وراءه نماذج يقتدى بها في فن القيادة ، وتجارب رائعة في ادارة البلاد وتدبير شؤونها . كما وانه اضاف الى الموروث العسكري الشيء الكثير في تطوير مبادىء الحرب[٤٥] .

بعد ان عقد قتيبة الصلح مع سكان بيكند سنة ٨٧ هـ / ٧٠٥ م ، وفي اثناء رجوعه الى مرو ، بعدما ابتعد عن المدينة مسافة مرحلتين (٣٦ ميلاً ، وصلت اليه ابناء تمرد اهلها ، فرجع وضرب حصاراً حول المدينة ، فطال الحصار مدة شهر ، وامر الفعلة بتعليق السور بالخشب ثم حرقه وبالتالي اسقاطه «نسف السور» وهذا اسلوب ابتكره قتيبة وابدع فيه مما عجل سقوط المدينة بيد المقاتلين العرب ، ولشدة تأثير ذلك طلب سكان المدينة تجديد الصلح السابق فرفض قتيبة واصر على فتحها عنوة وتم ذلك فعلاً[٤٦] .

كان قتيبة من القادة الذين يولون اهتماماً متزايداً وكبيراً ، بصنف الفعلة ، فكان يجهزهم بجميع التجهيزات التي تخص مجال عملهم ، وكان في الوقت نفسه يكرم المتميزين منهم ، وقد وفقوا في عملهم غاية

الأتقان وابدعوا فيه ، وأزالوا كل العراقيل والصعـوبات التي كـانت تجابههم فكانوا حقاً عاملاً متميـزاً في تحقيق النصر المـظفر ، بجـانب اخوانهم المقاتلين في ميدان المعركة . ان سبق لهذا الصنف ان اقام حفرة تحت سور مدينة بيكند ، ويخبرنا بذلك الزشخي قائلاً : « . . . وعاينوا الشاق واعملوا الحيلة وحفر قوم اسفل الجدار والبرج ونفذوا الى حضيرة الدواب داخل السور وحفروا الجدار واحدثوا ثغرة»[٤٧] .

ويتجلى ابداعه في مجال اهتمامه بالطلائع ، الذين يكـونون في مقدمة الجيش ، «كان يبعث في الطلائع الفرسان من الاشراف . . . وكان اذا بعث بطليعة أمر بلوحٍ فتُقق ، ثم يشقه شقتين فاعطاه شقة ، واحتبس شقة لئلا يمثل مثلها ، ويامران يدفنها في موضع يصفه له من مخاضة معروفة او تحت شجـرة معلومة او خـربة ثم يبعث بعـده من يستبريها ليعلم اصادق في طليعته ام لا»[٤٨] . هـذا الأبتكار في طـرق معرفة ماتقوم به الطليعة وما تنقل اليه من اخبار صحيحة ، اضافة الى المسلك الذي سلكته في طريقها ، زاد من دقة الخطة التي يضعها في مهاجمة الاعداء .

وجانب آخر من ابداعات قتيبة في المجال العسكري ، وذلك هو اهتمامه المتزايد في تطوير سـلاح آلات الحصار وبخـاصة المنجنيق ، فكان يعتني به عناية كبيرة لأنه سلاح فعال في العمليات العسكرية ويبدو من خلال الروايات التي ذكرها مؤرخونا الأوائل بان لدى قتيبة اعداداً كبيرة من هذا السلاح « . . . ووضع على قلعته [قلعة ملك شومان] المجانيق ، ووضع منجنيقاً كان يسميها الفحيحاء»[٤٩] . وكـان يجري على هذه المجانيق الكثير من المحتسينات ، وتطويرها نحو الأفضل ، لكي تؤدي مهامها على احسن مايرام ، وهذا ماظهر من شدة الضربات

التي كانت توجهها الى اسوار المدن محدثة فيها الكثير من الثلمات وبالتالي الى هدمها ، وهذا ما حدث لسور قلعة شومان وبيكند ، وبخارى وسمرقند(٥٠) .

وقد ابتكر قتيبة اساليب مبدعة ، جعلت العدو ييأس من انصراف قتيبة عنه ، وهذا ما حدث فعلاً في سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م عندما زحف نحو «رتبيل» ملك سجستان حيث امر المقاتلين بزرع الارض ، «ثم انصرف قتيبة من زربخ بعد ان كان زرع زرعاً لييأس العدو من انصرافه»(٥١) .

سرعة اتخاذه القرار الحازم

من صفات القيادة الأسياسية ، اتخاذه القرارات الصحيحة السريعة لمواجهة اي طارىء مفاجىء ، وقتيبة كان يتحلى بهذه الصفة وبأمكانه اتخذ القرارات بسرعة ولاسيما في المواقف الحرجة والصعبة ، ومنها :

عندما طلب نيزك من قتيبة السماح له بالعودة الى بلاده ، فأذن له الا ان قتيبة سرعان ما أرسل وراءه المغيرة بن عبد الله لألقاء القبض عليه ، لأن قتيبة كان يساوره الشك بأن نيزك يضمر في نفسه التمرد على السيادة العربية ، فضلاً عن تحريضه ملوك وامراء المنطقة وقراره بارسال قوة مؤلفة من اثني عشر الف مقاتل بقيادة اخيه عبد الرحمن الى بلخ ، والتمركز فيها ومراقبة الأحداث ومعالجة اي امر مفاجىء ربما يباغت به نيزك قتيبة ، وكان فعلاً قراراً حازماً . وسريعاً .

ومن قراراته الصائبة كذلك ما اتخذه اثناء توجهه نحو سمرقند لفتحها بعدما انتهى من امر اخوارزم وايضاً عندما اختلى بقتيبة احد

قادته ، وهو مجشر بن مزاحم السلمي ، الذي كان يفكر بالفكرة نفسها في التوجه الى سمرقند ، وحذره قتيبة من افشاء الأمر[٥٢] .

وقراره السريع بتشكيل قوة منتخبة من المقاتلين العرب الشجعان لمباغتة القوة المرسلة من قبل اهل الشاش وفرغانة ، وحققت نجاحاً باهراً ، اذ أبيدت قوة الاعداء عن بكرة ابيها .

جـ - الصفات المعنوية

الشجاعة والثقة بالنفس

لسنا بحاجة الى تقديم الدلائل على شجاعة هذا القائد الكبير ، الذي عرف بالشجاعة والأقدام ، منذ ان حمل السيف واصبح قادراً على القتال ، ولقتيبة شجاعته نادرة ، لأن شجاعة ليست فقط كانت في ميادين القتال بقدر ما كانت في الجوانب الأدارية ، ودقة مواقفه البطولية الرائعة في مواجهة المواقف الصعبة والحرجة ، .

في سنة ٨٧ هـ / ٧٠٥ م ، ابتدأ موسم عملياته العسكرية بالزحف نحو بيكند احدى مدن بخارى ، وقد وصلها بسرعة وضرب حولها حصاراً محكماً ، الا ان اهل بيكند «استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم ، فأتوهم في جمع كثير ، واخذوا بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ، ولم يصل اليه رسول ، ولم يجر له خبر شهرين»[٥٣] . وهذا يعني ان الصغد اطبقوا على قتيبة وضربوا حوله حصاراً محكماً ، الا ان قتيبة كان رابط الجاش ، عميق الأيمان مؤمناً بعدالة القضية التي يحارب من اجلها ، فقد صمد حتى استطاع ان يجد حلاً بخطة بارعة في القضاء على الصغد واهل بيكند في آن واحد ، وقد اصاب فامبري الغرض حين قال : « على ان قتيبة لم يجر في خاطره اي تفكير في الهرب برغم ما كان

فيه من حرج . . . فلم يجدهم ذلك كله فتيلاً تلقاء ما كان عليه قتيبة من شجاعة خارقة واقدام»[٥٤] .

وفي سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، توجه الى بخارى ، فكتب وردان خذاه الى الصغد ، والترك ومن المناطق المجاورة طالباً منهم ارسال النجدات ، الا ان القائد قتيبة ، وبما عرف عنه من حركة سريعة واستعماله المباغتة ضد اعدائه ، وصل قبل هذه النجدات وحاصر المدينة وفي بداية المعركة تمكن المشركون من الحاق الأذى بالأزد ودخلوا معسكر قتيبة[٥٥] .

لم يطرأ على قتيبة اي ارتباك او اضطراب بحيث يجعله يفقده توازنه وسيطرته عن ادارة المعركة ، بل كان صبوراً صلداً يراقب عن كثب سير المعارك ، بشجاعة متناهية قل من تتوفر فيه مثل هذا الصفة ، وعالج الموقف بكل حكمة ورويّة ، وغيّر من خطته حسب ما أملته ظروف المعركة المستجدة ، فامر الجناحين بالأطباق على العدو ، وازالوهم عن مواضع المسلمين ، وتمكن بنوتميم من القضاء على الاعداء بصورة نهائية بعد ما أبلوا من الشجاعة والبطولة النادرة .

اشار البلاذري الى شجاعة قتيبة عندما كان محاصراً لمدينة بخارى ، حيث تمكن من فتح ابوابها ، وقد قاتل قتيبة بكل بسالة وشجاعة مع جنده الميامين[٥٦] . ولم يفكر بما يصيبه اثناء الهجوم وهو موجود في وسط الباب ، انما كان يفكر في تحقيق الهدف السامي الذي من اجله يقاتل وهو اعلاء كلمة الله ونشر الاسلام .

ومن شجاعته الفذة ، معالجته غدر نيزك وخروجه عن الطاعة وقيامه بالتمرد على السيادة العربية ، ادرك قتيبة حجم الخطر الذي يواجهه من خروج نيزك فاتخذ الترتيبات اللازمة ، بحيث فوت الفرصة

على نيزك بالقيام بأي هجوم مباغت وكانت فعلاً شجاعة نادرة ، دلت على ذكاء حـاد ، وبصيرة بمعـرفة ادق التفـاصيل والـظروف المحيطة به(٥٧) .

كان رتبيل ملك سجستان قد هزم ولاة خراسان اكثر من مرة ، عندما قاموا بالتعرض عليه ، ماعدا جيش عبد الرحمن بن الأشعث ، وفي سنـة ٩٢ هـ / ٧١٠ م زحف قتيبـة عـلى سجستـان وتمكن من الأستيلاء على عدد من مدنها ، وكان قتيبة على علم بموقع بلاد رتبيل الاستراتيجي الحصين ، حيث تحيطها الجبال الوعرة ، التي تعوق تقدم القـطعات العسكـرية ، الا انها لم تقف عـائقاً امـام شجـاعـة قتيبـة وتصميمه ، حتى ان رتبيل نفسه طلب الصلح من قتيبة .

ومن شجاعته ايضاً قتاله مع القوة التي ارسلها بقيادة صالح بن مسلم لمـواجهة قـوة اهل الشـاش وفرغـانة لفـك الحصار عن مـدينة سمرقند . وان حضوره القتال ومشاركته فيه ، وغير مهتم فيما لو اصابه مكروه .

وشجاعة قتيبة تتجلى في زحفه على الصين ، متوغلاً في هذه البلاد الواسعة ، مخترقاً الجبال والحواجـز ، يحدوه الأمـل الكبير ، في نشـر الاسلام في ربوعها ، غير آبه لما يلاقيه من الصعوبات الجمة ، حتى ان شجاعته أرهبت امبراطور الصين وقد اسرع الى تقديم الصلح فوافق عليه قتيبة(٥٨) .

وعندما تآمر عليه حيان النبـطي والب بعض الجند وقـادتهم ، امثال وكيع بن ابي سود ، مستغلاً الخلافات التي نشبت بينهما ، فان قتيبة وقف بكل رباطة جأش ، وعزيمة لاتلين ، وشجاعة متناهية ، ولم يستسلم لهم ابداً ، وظل صامداً حتى آخر لحظة من حياته . وهذا يدل

على شجاعته واباثه العربي .

أما ثقة قتيبة بنفسه فكانت عالية ، وكانت متبادلة مع جنده «لقد وثق بنفسه وفي انه يعد خطة عظيمة لتحرير بلاد ما وراء النهر ، ولذلك سار مجداً في توخي هدفه وتطبيق خططه لأنه كان يثق بنفسه وبصحة خططه تلك»[٥٩] . كما انه على ثقة عالية بجميع القرارات التي اصدرها ونفذها بدليل انه لم تنتكس له راية ابداً طيلة عشرة اعوام من مدة ولايته على خراسان ، فضلاً عن قراراته الأدارية .

ان الثقة بالنفس لدى قتيبة كان منبعها الأيمان بالعقيدة الأسلامية ، وان الله ناصر دينه . وقد كان اقتناعه بذلك راسخاً وعميقاً .

اما ثقة الجنود بقائدهم ، فكانت قوية جداً ، لدرجة كانوايتسابقون في تنفيذ الأوامر والمهمات التي توكل اليهم ، وهاهم عندما تمكن الفعلة من حفر حفرة تحت سور مدينة بيكند ، طلب قتيبة منهم الدخول فتسابقوا في ذلك واكرم المتميزين منهم[٦٠] .

وقد لبوا نداءه عندما اختار عدداً من الأبطال الشجعان في تشكيل القوة المرسلة لمواجهة اهل الشاش وفرغانة فرسم لهم خطة الهجوم ، وكانوا على ثقة كبيرة بقائدهم يتلكأ احد منهم ، او يرفض الاشتراك في هذه المهمة[٦١] . فكانوا حقاً مخلصين في واجباتهم وقاتلوا بشجاعة قائدهم وروحه العالية ، ومعنوياتهم المتالقة ضد الأعداء .

قوة الشخصية

كان قتيبة بن مسلم الباهلي من القادة الذين يتمتعون بشخصية قوية وذات هيبة عظيمة ليس فقط بين ابناء جلدته . بل بين السكان المحليين في خراسان وماوراء النهر ، كذلك ان القائد مثل اعلى لجنوده ، وان جزءاً كبيراً من شجاعتهم وتماسكهم كوحدة مقاتلة مستمدة من شخصيته .

وكان قتيبة ذا شخصية قوية نافذة مسيطرة لاتجامل ولاتخضع الا للحق وللمصلحة العامة[٦٢] .

وفضلاً عن ذلك كانت شخصية قوية جداً ، حتى بين اعدائه من السكان المحلين ، فقد طلب طرخون الصلح من قتيبة بعد ما راى الأنتصارات العظيمة التي حققها قتيبة[٦٣] .

ملكته الأدبية

على الرغم من شهرة قتيبة الحربية والأدراية واعتباره من ابرز قادة بني امية ، فقد تمتع قتيبة فضلاً عن براعته ونبوغه العسكري بملكة ادبية جعلته من مثقفي ذلك العصر وخطبائه . وقد ساعد في تكوينه الأدبي نشأته الأولى في البصرة ، التي اشتهرت بالمكانة الأدبية ، فضلاً عن وجود عدد كبير من علماء الأدب والحديث ، ويمكن اضافة عامل آخر هو كونه من احد البيوتات الأربعة المشهورة في البصرة[٦٤] ، مما جعله يحظى بقدر وافٍ من التعليم والتزود بما توفر له من المعلومات ، كما وان اجتماعه بالفقهاء والمحدثين امثال عامر الشعبي[٦٥] ، ومحمد بن واسع[٦٦] ، والضحاك بن مزاحم[٦٧] ، ويحيى بن يعمر[٦٨] ، وليس هذا

نحسب فقد كان بمعيته في خراسان اثناء ولايته لها ٨٦ هـ / ٧٠٤ م - ٩٦ هـ / ٧١٤ م عدد من الأدباء والشعراء ، امثال نهر بن توسعة ، وكعب الأشعري ، وحنظلة بن عرادة[٦٩] ، وغيرهم من شعراء الفتوح العربية الاسلامية في خراسان وبلاد ماوراء النهر[٧٠] .

وكان قتيبة يحافظ في حديثه وقراءاته للقرآن الكريم على عدم اللحن ويتحاشى الوقوع في اية اخطاء لغوية ، لأن ذلك يعد منقصة ، ويعد من المعايب والمآخذ . وقد ترك لنا قتيبة عدة خطب وأقوال ، لاتزال تحتل مكانة مرموقة من حيث قوة اللفظ وجزالة الأسلوب ونصاحة اللغة وبلاغة التعبير ونقاوته ، والميل الى التركيز والتكثيف في المعاني ، فهو لايستطرد كثيراً في الحديث عن المعنى الواحد ولا يمده .

كان قتيبة بن مسلم يمتلك فضلاً عن ذلك ذوقاً ادبياً رفيعاً جعله يحس بالعبارة الأدبية ، والمعنى الجميل .

وتذوقه للأبيات التي انشدها الشاعر حنظلة بن عرادة التميمي والتي يقول فيها :

أتيت خراسان ابن عمرو وأهلها
حيارى ونار بينهم يتحرق
فأطفأتها والعدل منك سجية
وأنت لعمري للسداد موفق
فمرنا أبا حفص بما شئت إننا
الى كل ما تهوىٰ نخب ونسبق
فأنت لنا راع ونحن رعية
وكفاك بالأحسان فينا تدفق

فلا تأخذنا ياقتيبة بما مضى
من الجهل ان الحر يعفو ويرفق

فأمر للشاعر بجائزة[٧١] .

قتيبة والشعراء

أهتم قتيبة بن مسلم الباهلي اهتماماً كبيراً بالشعراء منذ قدومه خراسان فقربهم منه ، بخاصة اذا علمنا ان قتيبة كان راوياً للشعر ومطلعاً به[٧٢] ، «وكان قتيبة قد روى الشعر»[٧٣] . وعارفاً بفحول شعراء قبل الاسلام وبعده ، كتب الحجاج بن يوسف الثقفي الى قتيبة يسأله عن اشعر شعراء قبل الاسلام وبعده ، فأجابه قائلاً : «اشعر الجاهلية أمرؤ القيس ، واضربهم مثلاً طرفة ، وأما شعراء الوقت فالفرزدق افخرهم وجرير أهجاهم والأخطل اوصفهم»[٧٤] .

ان المصادر الأدبية وحتى التاريخية منها لم تذكر اشعاراً كثيرة لقتيبة فقد رويت منها القليل جداً ، ومن الأبيات التي قالها :

ابى لى آباء كرام وأوّل
أقاموا على ماء الندى فتخوضوا

بكل فتى في محضه اسمى واضح
يلوح كما لاح اليماني المفقض

ومن الشعراء الذين قربهم قتيبة ، نهار بن توسعة ، وكعب الأشقري والكميت ، والمغيرة بن حبناء ، وسوار ، وةسحبان بن وائل[٧٥] .

وقد مدح نهار بن توسعة قتيبة في كثير من القصائد ، وأكد في قصائده على حزمه وطاعته وشدّته على اعداء الدولة من المتمرّدين

والخارجين على السيادة العربية في خراسان ، وانتصاره عليهم في المعارك والحروب مؤيداً بالنصر المظفر . وانشد نهار هذه الأبيات في نصيدة مدح بها قتيبة بمناسبة انتصاره على نيزك والقضاء عليه فقال :

أصبت ووفقت ابن عمرو ولم تزل
على كل حال [قد] توفق للرشد
نتلت عدو الله نيزك بعد ما
اتى وجنود المسلمين على حقد
فكم ثم كم من غمرة قد عقرتها
وكم عائد في القوم قوّمت للقصد
وكم مقتر انعشته يا ابن مسلم
وأعطيته الأمال في طلب الحمد
وكم من عظيم البال في الوغى
نزلت صريعاً للدرين ولّلحد
وكم بائس اغنيته بعد عيلةٍ
فأصبح ذا مال كثير وذو لبد[٧٦]

ومدح الفرات بن عبد الله السني قتيبة بعد انتصاره على غوزك بن اخشيد ملك سمرقند ، فأنشد قائلاً :

يرى الموت من عادى قتيبة مجهرا
وليس بوقاف ولا بمواكل
ولكنه سمح بنفس كريمة
يصول بها يوم الفنا والقبائل
نما لأبي حفص يزيد إذا سما
بأرعن مثل الطود جم الصواهل

حوى السغد حتى شاع في الناس ذكره
ونال التي أعيت على المتطاول
ونال التي قد رامها الناس قبله
فأعيوا وأمسى ذكره غير خامل[٧٧] .

امتاز قتيبة بالقوة الخطابية ، فضلاً عن حبه للأدب والشعراء وبخاصة ما أثِرَ عنه من اقوال ورسائل تدل على بلاغته وفصاحة اللفظ واجتبائه ، وهو كثير العناية ببلاغة العبارة ونقاوتها . وتعد خطبه من نماذج الخطابة في الفتوحات العربية الأسلامية ، والتي يعمد منها الى حض الجند للجهاد ، ابتغاء مرضاة الله واعلاء كلمة الاسلام ، ويذكرهم بالآيات القرآنية التي تجعل المجاهدين موعودين بالنصر المؤزر ، وقد استطاع قتيبة بأسلوبه المتميز في الخطابة ، ومتانة حجّته ان يؤثر في سامعيه تأثيراً بالغاً .

منذ اللحظة الأولى التي وطأت قدمه خراسان قام خطيباً في الجند يرغبهم في الجهاد وتشر راية الأسلام واعلاء كلمة الله[٧٨] .

عندما حاصر قتيبة مدينة سمرقند سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م طلب اهلها النجدة والأمدادات من اهل الشاش وفرغانة ، وفعلاً فقد وصلت الأخبار اليه بتقدم قوة من المقاتلين ، لمباغتة معسكر العرب المسلمين ، لذلك فقد اختار قتيبة قوة من ستمائة مقاتل من الأبطال الأشداء الصناديد ، فخطب فيهم قائلاً : «ان عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم ، وتأييده اياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم ، كل ذلك يفلحكم الله عليهم ، فاجمعوا على ان يحتالوا غمرتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم وملوكهم ، وانتم دهاقين العرب وفرسانهم وقد فضلكم الله

بدينه ، فابلوا الله بلاءً حسناً تستوجبون به الثواب مع الذب عن احسابكم»[٧٩] .

واثرت عن قتيبة بن مسلم حكم واقوال ماثورة منها قوله لبنيه : «لا تطلبوا الحوائج من كذوب فانه يقرّبها وأن كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ، ولا من رجل قد جعل المسالة مأكله فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك مقاية لها ، ولا من احمق فانه يريد نفعك فيضرك»[٨٠] . وقال : «ملاك الأكثر في السلطان الشدة على المذنب ، واللين للمحسن»[٨١] .

ومن كلامه الذي تتضح فيه قوة بلاغته وجزالة الفاظهِ وقوة التعبير قوله ، عندما قدم خراسان والياً عليها : «من كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه ، ومن كان فيه فليلفظه ، ومن كان في صدره فلينفشه ، فعجب الناس من حسن مافصل»[٨٢] .

وقال لرجل قد اغتاب رجلاً في مجلسه : «امسك عليك ايها الرجل ، فوالله لقد تلمظت بمضغةٍ طالماً لفظها الكرام» .

وفي قول لولده : «يابني الزموا القناعة فان اوسع الناس غنىً أقنعهم بما قسم له وعليكم بالشكر لله فان احق الناس بالزيادة في النعمة اشكره لما اوتي منها» . وخاطب قتيبة الحجاج ظفر باصحاب ابن الأشعث فأراد قتلهم : «ان الله قد اعطاك ماتحب من الظفر فاعطه ما يحب من العفو» .

وكان قتيبة اذا جاهد حض الناس على الصبر ونهاهم عن الغلول وقال : «اياكم والحسد وطماح الأبصار ، واطلقوا انفسكم عن المحادة فان افلح الناس محبة اغلبهم للحرص والشهوة» .

وقال ايضاً : «الكامل المروءة من احرز دينه ووصل رحمه وتوفي

مايلام عليه» .

وقال ايضاً : «البر الموصول من لم يجعل للبعيد حظ الغريب ولم يصل رحماً بقطيعة اخرى»[٨٣] .

وعرف قتيبة بقدرته على الوصف فقد روى ان قتيبة قال : لعمر بن حصين : «والله للسُّؤدد اسرع اليك من نار في يبيس العرفج» .

(١) ابن كثير : البداية ، حـ ٩ ، ص ١٤٩ .

(٢) الطبري : تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ن . م . ، حـ ٦ ، ص ٣٥٩ .

(٤) ن . م ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ . ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢١٧ . ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٢٣ .

(٥) ابن اعثم : الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢١٧ . الجنابي ، خالد جاسم ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي ، ص ١٣٧ ، (بغداد - ١٩٨٤) .

(٦) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ص ٢٤ ، (مصر - ١٩٦٤ م) .

(٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٠ ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ . ، ابن نباته ، سرح العيون ، ص ١٨٩ .

(٨) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(١٠) ن . م ، حـ ٦ ، ص ٤٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٤٣ .

(١١) الطبري ، من خلال النص الذي ذكره اعلاه لم يذكر المبلغ بالدرهم أو الدينار ، وبما ان المنطقة اكثر تعاملها بالدراهم ، فيكون طبيعي المبلغ عشرة آلاف درهم .

(١٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(١٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٧ .

(١٤) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ص ١٦ - ١٧ .

(١٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٧ .

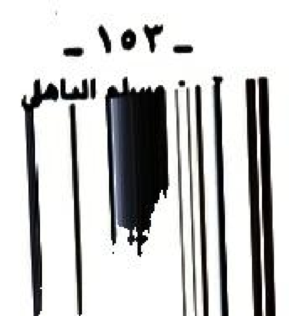
(١٦) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٠ .

(١٧) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٢ .

(١٨) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٠٨ . ، النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(١٩) ذكر النرشخي بأن قتيبة نادى «بأن كل من ينفذ من الثغرة اعطيه ديته واذا قتل اعطيها لأولاده حتى رغب كل واحد منهم في الدخول واستولوا على الحصن» .
انظر : تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .

(٢٠) الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية ، حـ ١ ، ص ١٧٥ ، (القاهرة -



١٣٧٦ هـ) .

(٢١) انظر : البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ .

(٢٢) الطبري، تاريخ ، حـ ٦ ، ص٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣٧ ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٢٤) انظر ص من هذا البحث .

(٢٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ .

(٢٦) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ . ، اليافعي ، مرآة الجنان ، حـ ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ . ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٥٧١ .

(٢٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٧ .

(٢٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٢٩) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٤١ .

(٣٠) القرآن الكريم ، سورة الصف : آية ، ٩ .

(٣١) سورة التوبة : آية ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣٢) سورة آل عمران : آية ، ١٦٩ .

(٣٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ . ، ابن نباته ، سرح العيون ، ص ١٩٠ .

(٣٤) عون ، عبد الرؤوف ، الفن الحربي في صدر الاسلام ، ص ٣٠٧ ، (مصر - ١٩٦١ م) .

(٣٥) المرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ص ٢٢ .

(٣٦) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٢ . ، ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(٣٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٥٠٧ - ٥١٦ . ، الطبري ، تاريخ ، حـ ٥ ، ص ٢٩٧ ، ص ٣٠٦ ، ص ٤٧٣ ، حـ ٦ ، ص ٣٢٥ . ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٤ ، ص ١٩١ ، حـ ٧ ، ص ٣٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٤ ، ص ٩٧ .

(٣٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٥ .

(٣٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٦٩ .

(٤٠) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٧٢ .

(٤١) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ . الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٣١ .
(٤٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ .
(٤٣) ن . م . ص ٥١٨ .
(٤٤) ن . م . ص ٥١٨ .
(٤٥) عون ، الفن الحربي ، ص ٢٣٧ .
(٤٦) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣١ .
(٤٧) النرشخي ، تاريخ ، ص ٦٩ .
(٤٨) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .
(٤٩) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٦٣ .
(٥٠) انظر : ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٦٣ ، ص ٤٧٤ .
(٥١) قدامة ، الخراج ، ص ٣٩٨ .
(٥٢) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٧ .
(٥٣) ن . م . حـ ٦ ، ص ٤٣٠ .
(٥٤) فامبري ، تاريخ بخارى ، ص ٦٢ .
(٥٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٣ .
(٥٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٧ .
(٥٧) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٥ - ٤٥٩ .
(٥٨) ن . م . حـ ٦ ، ص ٥٠٠ - ٥٠٣ .
(٥٩) عماش ، قتيبة بن مسلم الباهلي ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٦٠) النرشخي تاريخ بخارى ، ص ٦٩ .
(٦١) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٧ .
(٦٢) محمود شيت خطاب «قتيبة بن مسلم الباهلي» ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث عشر ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ١٦٤ .
(٦٣) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٤٥ .
(٦٤) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٩٠ .
(٦٥) التوحيدي ، الأمتاع والمؤانسة ، حـ ٣ ، ص ٣٢ .
(٦٦) الأصبهاني ، احمد بن عبد الله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، حـ ٢ ،

ص ٣٥٢ ، ط ٢ ، (بيروت - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .

(٦٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٥١٨ .

(٦٨) البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٢٦ .

(٦٩) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٠٨ .

(٧٠) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٥٢٠ - ٥٢١ .

(٧١) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٠٨ .

الجاحظ ، البيان ، والتبين ، حـ ٢ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٧٢) ابن نباته ، سرح العيون ، ص ١٩٢ . ، الزركلي ، الاعلام ، حـ ٦ ، ص ٢٨ ، (بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) .

(٧٣) القالي ، الأمالي ، حـ ١ ، حـ ١٥ . ، الخالديان ، الاشباه والنظائر ، ص ٣٣٤ .

(٧٤) ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي ، ديوان الحماسة ، حـ ١ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، حاشية ٣ .

(٧٥) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٨٤ .

(٧٦) ابن اعثم ، الفتوح ، حـ ٧ ، ص ٢٣١ .

(٧٧) ن . م ، حـ ٧ ، ص ٢٤٦ .

(٧٨) انظر الطبري ، حـ ٦ ، ص ٤٢٤ .

(٧٩) الطبري ، تاريخ ، حـ ٦ ، ص ٤٧٧ .

(٨٠) البيهقي ، المحاسن والمساويء، ص ٣٩٣ .

(٨١) ابن عبد البر ، بهجة المجالس وانس المجالس ، حـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٨٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، حـ ٢ ، ص ١١٠ . ، القيرواني ، زهر الآداب حـ ٢ ، ص ٨٧٤ .

(٨٣) ن . م . ورقة ١١٦١ ب .

الخاتمـــة

كرس هذا البحث لدراسة الجهد العسكري العربي الذي قاده قتيبة في خراسان وماوراء النهر من سنة ٨٦ هـ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م ، وكذلك تتبع الأجراءات الأدارية والمالية لقتيبة خلال هذه الفترة ، وبعض التنظيمات الأخرى في الجوانب الأجتماعية .

تعد هذه الفترة الزمنية ، فترة مضيئة في تاريخ خراسان لكثرة الأنجازات الرائعة التي تحققت على يد القائد العربي قتيبة وبخاصة الأنجازات العسكرية الكبيرة ، في منطقة فيها من الصعوبات والعراقيل مايعوق تقدم الجيوش ، الا ان قيادة قتيبة الفذة ذللت كل تلك الصعوبات وجعلت تقدم العرب في هذه البلاد لتحقبق رسالتهم الأنسانية لأنقاذ الشعوب من الأضطهاد والعبودية والظلم ، حقيقة واقعة في التاريخ العربي العسكري .

وتميزت ايضاً بوصول العرب الى مدينة كاشغر في الجزء الغربي من الصين ، ولم يتقدموا اكثر من ذلك في الفترات اللاحقة التي اعقبت مقتل قتيبة . وخلص البحث الى جملة من الحقائق التاريخية منها :

١ - ابرز البحث العلاقات المتينة بين قتيبة والحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث ذلّل الأخير كل الصعوبات التي كانت تواجه قتيبة ، فقدم له كل اشكال الدعم والأسناد في المجالات كافة .

٢ - ان الدور الكبير الذي لعبه قتيبة في بذله الجهود العظيمة في عملية اسكان العرب في خراسان وماوراء النهر ، كانت الدعامة الاساسية الصلبة في تحقيق الأنتصار على الاعداء ، والأستمرار في

التقدم لتحرير الكثير من الشعوب الخاضعة للحكام المستبدين ، فضلاً عن تحريرهم من الظلم والعبودية والشرك والوثنية ، الى جانب جعل هذه المدن القواعد الاساسية في مد الجيوش العربية بالمقاتلين وكافة الأمور العسكرية الأخرى . وان عملية اسكان العرب حققت هدفاً آخر هو اسمى واعلى من كل الأهداف الاخرى الا وهو نشر الأسلام .

٣ ـ ان الفتح المنظم لبلاد ماوراء النهر كان قد خطط له ، وقام بعملية تنفيذه قتيبة ، نفسه ، الذي اعاد تنظيمه بشكل محكم ، لذلك لم يتمكن الولاة السابقون لخراسان التقدم والتمركز في مدن ماوراء النهر . ويعود الفضل في العمليات العسكرية الحربية المنظمة والوصول الى هذا الأقليم بشكل مدروس الى قتيبة ، وليس هذا فحسب وانما التخطيط بالأندفاع نحو الشرق ودخوله الأراضي الصينية ، وهو بذلك وضع يده على مشروع كبير ولو أتيحت له فرصة ولم يقتل لحقق انجازاً كبيراً ذا ابعاد سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة ، ولتمكن من تحرير الصين كلها ، واستمر في الزحف الى أبعد من ذلك ولتغير وجه تاريخ اسيا الوسطى برمتها .

٤ ـ اوضح البحث الدور الفعال لقتيبة في قيادة الجيش لما يتمتع به من مميزات عديدة وصفات قيادية كثيرة ، اضافة الى نبوغه العسكري الذي اضاف الى الموروث العسكري الكثير من الأبداعات وتطوير الفن الحربي ، وبخاصة اسلوبه في ادارة المعارك ، ونظراً لما يتميز به من بعد نظر واصالة الرأي والأبداع في المواقف الصعبة

مما هيّا له المجال الواسع في تحرير ماوراء النهر .

٥ ـ فنّد البحث ادعاءات بعض المؤرخين المحدثين الذين تناقلوا ورددوا افكار وآراء بعض المستشرقين باعتبار عملية تحرير ماوراء النهر كانت سهلة ويتمكن النهوض بها غير العرب وغير قتيبة ، بسبب ما آلت اليه هذه البلاد من الضعف والوهن والتفكك السياسي والعداوة والبغضاء بين حكام مدن هذا الأقليم مما سهل المهمة لقتيبة ، وعند تتبع العمليات العسكرية التي قادها هذا القائد نستطيع ان نلمس طبيعة المصاعب التي واجهها العرب المسلمون اثناء تحرير مدن هذا الأقليم ، حيث واجه العرب مقاومة عنيفة ولم يحرزوا النصر المؤزر الابالتضحيات الجسام .

٦ ـ وبين البحث ان الانتصارات التي حققها العرب المسلمون بقيادة قتيبة لم تكن فقط بسبب النبوغ العسكري الذي امتاز به ، وانما ايضاً بسبب الأيمان الكبير بالمباديء والعقيدة ، وبعدالة القضية التي يحاربون من اجلها ، فضلاً عن ما يتحلى به المقاتل العربي من معنويات عالية وشجاعة فائقة وضبط جيد ، وروح الأندفاع المتفانية في تحقيق المهمات الملقاة على عاتقه . كما وان قتيبة استطاع من توجيه كافة الجهود المبذولة لأجل تحقيق النصر وخدمة الهدف العام . وتمكن من صهر جميع القبائل العربية في بوتقة واحدة وتوجيهها بشكل سليم .

٧ ـ وابرز البحث ايضاً دور قتيبة في بعض التنظيمات الأدارية في مجال تعيينه للعمال ، والأجراءات المالية ، وكان جاداً في مجال البناء وخاصة بناء المساجد ، وهو يؤكد في عقد اي صلح كان ، ان يكون بناء المسجد احد الشروط الرئيسية ، وهذا يعني انه ليس

فقط الأهتمام بالناحية الدينية وانما تعداها الى الناحية الثقافية ، اذ ان المسجد في تلك الفترة كان بمثابة الواجهة التعليمية التي يجتمع فيها طلاب العلم والعلماء وهذه نتيجة اخرى ، لان ثمار هذا العمل تحقق فيما بعد ، حيث اصبحت بخارى وسمرقند وفرغانة وغيرها من مدن ماوراء النهر مراكز لطلاب العلم والعلماء ، والتي ساهمت مساهمة جادة في تطور وتقدم الحضارة العربية الأسلامية نتيجة الأحتكاك المتواصل بين علماء العرب حاملي مشعل الحضارة وبين السكان المحليين ، الذين انضنووا تحت لواء الأسلام ، فقد تفاعلت الجهود والأبداعات الخلاقة للعرب مع ماتوفر لدى الشعوب التي حررها العرب في انتاج اعظم حضارة عربية اسلامية .

٨ - واظهرت الدراسة ان العرب في خراسان وبخاصة ، في فترة ولاية قتيبة من ٨٦ هـ / ٩٦ هـ - ٧٠٤ - ٧١٤ م ، قد ساهمت بشكل لايقبل الشك في تطور الأوضاع الأقتصادية في كافة مجالات الحياة .

٩ - واوضحت هذه الدراسة طبيعة التآمر الفارسي على شرعية السلطة التي يمثلها قتيبة ، وعلى وجود العرب في خراسان وماوراء النهر ، وهذا هو المحصلة النهائية في المخطط الفارسي اذ اشعلوا نار الفتنة التي اودت بحياة القائد العربي قتيبة بن مسلم ، لعلمهم الأكيد ان قتيبة هو رمز العرب في خراسان وماوراء النهر ، لأنه يتحلى بكافة الصفات القيادية السياسية والعسكرية والأدارية فضلاً عن علاقته المتينة مع السكان المحليين ، وبمقتل قتيبة فأنهم

سوف يوقفون اندفاع العرب في تحقيق المزيد من الأنتصارات ، لأجل نشر الاسلام وانقاذ الشعوب من نير العبودية والأستغلال .

واخيراً فان فقدان القائد قتيبة يعد خسارة كبيرة فبموته توقفت عمليات التحرير العربية المنظمة ، ولم يستطع احد ممن جاءوا بعده من ولاة خراسان ان يحققوا او يضيفوا اي شيء عما وصل اليه قتيبة ، بل على العكس من ذلك بدأت عملية انحسار وتراجع في امتداد العرب واندفاعهم في المشرق . وهذه نتيجة واحدة لهذا التآمر الفارسي ، اذ لولاها لأنتشر الأسلام في الصين فحسب ، بل في جنوب شرقي اسيا . ولأنعمت شعوب هذه المنطقة بالحرية والمساواة والعدالة التي هي من مبادىء العقيدة العربية الاسلامية ، ومانصبو اليه هذه المبادىء من الرقي الحضاري والفكري في كافة المجالات .

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ المصادر الخطية

ابن الجوزي : جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي ، (ت : ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) .

ـ «شذور العقود في تاريخ العهود» . مخطوطة محفوظة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ٢٩٨٥٦ / ١١١٣٩ / ٨ .

ـ «المنتظم في تواريخ الملوك والأمم» ، مخطوط مصور بالفوستات محفوظ بمكتبة المجمع العلمي العراقي ، تحت رقم ١٢٢٨ م ، عن النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة احمد الثالث تحت رقم ٢٩٠٨ .

ابن احمدون : محمد بن حمدون (ت : ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .

ـ «التذكرة الحمدونية» ، ص ١٢ ، نسخة مصورة بالفوستات محفوظة بمكتبة الدراسات العليا ـ كلية الأداب ـ جامعة بغداد ، تحت رقم ١٢٨٢ ، عن الأصل المحفوظ في مكتبة احمد الثالث باسطنبول تحت رقم ٢٩٤٨ .

ابن الكلبي : ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت : القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) .

ـ «جمهرة النسب الكبير» ، رقيقة عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم (Add 23297) وعن مخطوطة الأسكوريال رقم (Arade — 1698) نسخة الدكتور عبد الأميردكسن .

ـ «المثالب» مخطوط محفوظ في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، تحت رقم ٢٠٥ .

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م)
ـ «انساب الاشراف» ، نسخة مصورة بالفوستات محفوظ في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب ؛ جامعة بغداد ، تحت رقم ١٦٣٤ ـ ١٦٤٤ ، عن النسخة الأصلية المحفوظة في معهد المخطوطات العربية بالرباط ، تحت رقم ٦٨ .
مخطوطة كاملة «رقيقة» عن الأصل الموجود في المكتبة السليمانية باسطنبول برقم (٥٩٨) ، نسخة الدكتور عبد الأميردكسن .
البياس : يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري (ت : ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) .
ـ «الأعلام في الحروب الواقعة في صدر الاسلام» ، نسخة مصورة بالفوستات محفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٣٩٣ ـ ٣٩٤ /م ، عن الأصل الموجود في دار الكتب المصرية تحت رقم (٣٩٩ تاريخ) .
التنوخي : ابو عبد الله محمد بن علي ، (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) .
ـ «تاريخ العظيمي المسمى البنواس» ، نسخة مصورة بالفوستات ، محفوظة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم (٩٤١٧) .
الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
ـ «تنبيه الملوك والمكائد» ، رقيقة مصورة ، نسخة الدكتور عبد الامير دكسن الدويهي : بطرس بن انطون غيزان (ت : ١٨٤٢ م) .
ـ «تاريخ المسلمين» مخطوط محفوظ في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب جامعة بغداد ، تحت رقم (١٣) .

الغساني : ابو العباس اسماعيل بن العباس ت : ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) .

- «العسجد المسبوك والجواهر المحكوك وطبقات الخلفاء والملوك» ، نسخة مصورة بالفوستات ، محفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (٣٥) عن الأصل الموجود في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢١٨٩) .

مسكوية : احمد بن محمد بن يعقوب (ت : ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) .

- «تجارب الأمم» ، القسم الأموي ، مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم (٦٢٨٩) .

النهرواني : المعافى بن زكريا (ت : ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م) .

- «كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي في الحديث» ، نسخة مصورة بالفوستات محفوظ في المكتبة المركزية جامعة بغداد رقم (١١١) ، عن الأصل الموجود في مكتبة احمد الثالث في اسطنبول تحت رقم (٢٣٢١) .

مؤلف مجهول ، (ت : القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) .

- «غرر السير» ، رقيقة عن مخطوطة مكتبة البودليان في اوكسفورد رقم (542) ، نسخة الدكتور عبد الامير دكسن .

ب - المصادر المطبوعة

ابن ابي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله (ت : ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

- «شرح نهج البلاغة» ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب العربية ، (القاهرة - ١٩٦٣ م) .

ابن الأثير : عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

- «الكامل في التاريخ» ، ١٢ جزء ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت - ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .

- «أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق ، محمد ابراهيم البنا واخرون ، دار الشعب (لا . ت) .

ابن ادم : يحيى القرشي (ت : ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م)

- «كتاب الخراج» صحّحه ونشره ووضع فهارسه ، أبو الأشبال احمد محمد شاكر ، دار المعرفة ، (بيروت - لا . ت) .

ابن اعثم : ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت : ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)

- «كتاب الفتوح» ٨ أجزاء ، ط ، حيدر آباد ، الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م .

ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت : ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) .

- «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة - ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م) .

ابن حجر : شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت : ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
ـ «الأصابة في تميز الصحابة» ، مطبعة مصطفى محمد (مصر ـ ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٨ م) . ابن حزم : ابو محمد علي بن سعيد (ت : ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م).
ـ «جمهرة انساب العرب» ، نشر وتحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، (مصر ـ ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م) ابن حوقل : ابو القاسم بن حوقل النصيبي (ت : ٣٦٧ هـ/ ١٩٧٧ م) .
ـ «صورة الأرض» ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ـ لا . ت) .
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
ـ «العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ـ ١٩٧٧م) .
ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) .
ـ «وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان» ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، مطبعة الغريب (بيروت ـ ١٩٦٨ م ـ ١٩٧٢ م) .
ابن خرداذبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت : في حدود ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م) .
ـ «المسالك والممالك » مطبعة بريل ، ١٨٨٩م .
ابن خميس : عبد الله بن محمد
ـ «المجاز بين اليمامة والحجاز» ، منشورات دار اليمامة للبحث

والترجمة والنشر (الرياض ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ابن خياط :
خليفة ابن خياط شباب العصفري (ت : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .
ـ «الطبقات» ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، مطبعة العاني ، طـ ١ ، (بغداد ـ ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .
ـ «تاريخ خليفة بن خياط» ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، مطبعة الأداب ، النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م .

ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) .
ـ «الأشتقاق » تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

ابن رستة : ابو علي احمد بن عمر
ـ «الاعلاق النفسية» مطبعة بريل ، (ليدن ـ ١٨٩١ م) .

ابن سعد : محمد (ت : ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م) .
ـ «الطبقات الكبرى» ، ٨ اجزاء ، دار صادر ، بيروت ـ ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ابن الطقطقي : محمد بن علي (ت .
ـ «الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية» ، راجعه ونقحة ، محمد عوض ابراهيم بك ، وعلى الجارم ، طـ ٢ ، مطبعة المعارف ، (مصر ـ لا . ت) .

ابن عبد البر : ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت : ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
ـ «بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذهن والهاجس» ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ـ لا . ت .
ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ، مطبعة مصطفى محمد ،

منشور مع كتاب الأصابة في تميز الصحابة ، مصر ـ ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

ابن عبد ربه : ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الاندلسي المالكي (ت : ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م) .

ـ «العقد الفريد» ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الأستقامة ، ط ٢ ، القاهرة ـ ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م) .

ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، (ت : ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) .

ـ «التاريخ الكبير» ، اعتنى بتصحيحه الشيخ عبد القادر افندي بدران ، مطبعة روضة ، (الشام ـ ١٣٣٢ هـ) .

ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .

ـ «المعارف» ، تحقيق وتقديم ، ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب (القاهرة ـ ١٩٦٠) .

ـ «عيون الاخبار» ، نشخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، لا ـ ت .

ـ «الشعر والشعراء» دار الثقافة ، بيروت ـ ١٩٦٤ م .

ـ «الامامة والسياسة» او تاريخ الخلفاء (المنسوب) تحقيق طه محمد الزيني ، جزءان ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

ابن الكازوروني : خير الدين علي بن محمد (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) .

ـ «مختصر التاريخ» ، تحقيق (د ـ مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ـ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء

اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
ـ «البداية والنهاية في التاريخ» ، مطبعة السعادة ، (مصر - لا . ت) .
ابن منقذ : اسامة (ت : ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .
ـ «لباب الأدب» ، تحقيق احمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ .
ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور (ت : ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
ـ «لسان العرب» ، طبعة مصورة عن طبعة بولاف ، القاهرة ـ لا . ت .
ابن نباتة : جمال الدين محمد بن محمد (ت : ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) .
ـ «سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون» ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
ابو حيان التوحيدي : علي بن محمد بن عباس (ت : ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) .
ـ «البصائر والذخائر» ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، مطبعة الانشاء ١٩٦٤ .
ـ «الأمتاع والمؤانسة» ، صححة احمد امين واحمد الزين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ـ لا . ت .
ابو فرج الأصفهاني : علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦ م) .

ـ «الاغاني» مطبعة دار الكتب المصرية ، طـ ١ ، القاهـرة . لا . ت .

ـ «الاغاني» ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ـ ١٩٥٨ م .

ابو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت : ٢٠٩ هـ/ ٨٢٤ م) .

ـ «النقائض» ، ٣ اجزاء ، ليدن ، مطبعة بريل ـ ١٩٠٥ م .

ابو النصر : عمر

ـ «سيوف امية في الحرب والأدارة» مطبعة غنم ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت ـ ١٩٦٣ .

ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) .

ـ «الخراج صححة وشرحه ابو الاشبال احمد محمد شاكر ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

احمد عطية الله

ـ «القاموس الاسلامي» مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م .

الأصبهاني : ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت : ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م .

ـ «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» ، دار الكتاب العربي ، طـ ٢ ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

الأصفهاني : الحسن بن عبد الله

ـ «بلاد العرب» ، تحقيق ، حمد الجاسر ، وصالح العلي ، دار اليمامة ، طـ ، الرياض ، ١٩٦٨ الأصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت : منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر

الميلادي .
ـ «المسالك والممالك» ، تحقيق د . محمد جابر عبد العال الحسيني ، دار القلم ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
الآلوسي : السيد محمود شكري
ـ «بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ، عني بشرحه وتصحيحه ، محمد بهجة الاثري ، طـ ٣ مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر ـ لا . ت .
الاربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو
ـ «خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر من سير الملوك» ، مطبعة القديس جادرجيوس للروم الأرثذوكس ، ١٨٨٥ م .
الآمدي : ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م .
ـ «المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ـ ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
بارتولد : فاسيلي فلاد يميروفتش
ـ «تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي» ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، طـ ١ ، الكويت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
ـ «تاريخ الحضارة الاسلامية» ترجمة حمزة طاهر ، طـ ٣ ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٨ البستي : محمد بن حيان بن احمد ابي حاتم التميمي (ت : ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) .
ـ «الثقاة» ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ـ ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
ـ «مشاهير علماء الأمصار» عني بتصحيحه م . فلايشهر ، مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

البكري : ابو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م .

ـ «معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع» ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م .

ـ «فتوح البلدان» ، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د . صلاح الدين المنجد ، مصر ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ .

ـ «انساب الاشراف» ، القسم الرابع الجزء الأول ، تحقيق ، د . احسان عباس ، بيروت ـ ١٩٧٩ .

ـ «انساب الاشراف» ، القسم الأول الجزء الرابع ، ، تحقيق ماكس شلوسنجر ، القدس ، ١٩٧١ .ـ «انساب الأشراف ، القسم الثالث ، تحقيق د . عبد العزيز الدوري ، بيروت ـ ١٦٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ـ «انساب الأشراف ، الجزء الخامس ، تحقيق S . D . F . Goitein القدس ـ ١٩٣٦ م .

البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (ت : ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) .

ـ «الجماهر في معرفة الجواهر» مطبعة دار المعارف العثمانية ، طـ ١ ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٥ هـ .
ـ «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ، لايبزك ، اوتوهارسوتر ، ١٩٢٣ ، نسخة مسحوبة بالأوفسيت .

البيهقي : الشيخ ابراهيم بن محمد (ت : اوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

ـ «المحاسن والمساوىء» ، دار صادر ، بيروت ـ ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

الثعالبي : ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت : ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .

ـ «التمثيل والمحاضرة» ، تحقيق ، عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ـ ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
ـ «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ـ ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .
ـ «لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ـ لا . ت) .

الجاحظ : ابو عثمان عمر بن بحر (ت : ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .

ـ «الجيوان» ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مطبعة بابي الحلبي ، طـ ١ ، مصر ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣م .
ـ «البيان والتبيين» ، جزءان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طـ ٤ ، بيروت ـ لا . ت

جلوب : جون باجوت

ـ «امبراطورية العرب» ، ترجمة خيري حماد ، دار الغندور ، بيروت ـ

لا . ت .

الجمحي : محمد بن سلام (ت : ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) .

ـ «طبقات فحول الشعراء» ، شرحه محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة ـ لا . ن .

الجنابي : خالد جاسم

ـ «تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي» ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ـ ١٩٨٤ م .

الجواليقي : موهوب بن احمد بن محمد (ت : ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م .

ـ «المعرب من كلام الاعجمي على حروف المعجم» ، تحقيق احمد محمد شاكر ، طـ ٢ ، مطبعة دار الكتب القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

الحازمي الهمداني : ابو بكر محمد بن ابي عثمان (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .

ـ «عجالة المتبدي وفضالة المنتهي في النسب» ، تحقيق عبد الله كنون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .

حتي : فيليب

ـ «تاريخ العرب» ، ترجمة محمد مبروك نافع ، مطبعة التفيض ، بغداد ـ ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

الحربي : ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم

ـ «المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق ، حمد

الجاسر ، دار اليمامة الرياض ـ ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
حسن : حسن ابراهيم
ـ «تاريخ الاسلام» ، مطبعة السنة المحمدية ، طـ ٧ ، القاهرة ـ ١٩٦٤ .
حسن : ناجي
ـ «القبائل العربية في المشرق خلاف العصر الأموي» ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، طـ ١ مطبعة منمينة ، بيروت ـ ١٩٨٠ م .
حسين : صدام
ـ «العرب والدور القيادي لرسالة الأسلام» ، بغداد ـ ١٩٨٣ م .
الحسيني : عباس
ـ «علم النفس العسكري» ، مطبعة الارشاد ، بغداد ـ ١٩٦٨ م .
حميد ، عبد الرزاق
ـ «سيف بني مروان الحجاج الثقفي» ، دار الفكر العربي ، مطبعة احمد مخيم ، القاهرة ـ لا . ت
الحميري : ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت : ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) .
ـ «الروض العطار في خبر الأفكار» ، تحقيق ، احسان عباس ، مطبعة دار العلم ، بيروت ـ لا . ت .
الخالدين : ابو بكر محمد (ت : ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ، وابي عثمان سعيد (ت : ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م بني هاشم .
ـ «الاشباه والنظائر» ، تحقيق ، د . محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ـ ١٩٦٥ م .

الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي (ت : ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
ـ «تاريخ بغداد» ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لا . ت .
الدجيلي : عبد الصاحب
ـ «الشعوبية وشعراؤها» ، بغداد ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م .
دحلان : السيد احمد بن زيني
ـ «الفتوحات الأسلامية ، جزءان ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .
دكسن : عبد الامير
ـ «الخلافة الأموية» ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ـ ١٩٧٣ م .
الدوري ، عبد العزيز
ـ «الجذور التاريخية للشعوبية» ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، طـ ٢ ، بيروت ـ لا . ت .
الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م) .
ـ «تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس» ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ـ ١٢٨٣ هـ .
الدينوري : ابو حنيفة احمد بن داود (ت : ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .
ـ «الاخبار الطوال» ، تصحيح ، فلاديمير جرجاس ، طـ ١ ، ليدن ، ١٨٨٨ م .
الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان

(ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) .
- «تاريخ الاسلام» ستة اجزاء ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٦٩ هـ .
- «دول الأسلام» مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٦٤ هـ .
- «سير اعلام النبلاء» تحقيق مأمون الصاغرجي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

الزبيدي : ابو الفيض السيد مرتضى الحسيني (ت : ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) .
- «تاج العروس ، عشرة اجزاء ، المطبعة الخيرية ، مصر - ١٣٠٦ هـ .

الزجاجي : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت : ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) .
- «آمالي الزجاجي» ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ .

سالم : السيد عبد العزيز
- «تاريخ الدولة العربية» مطبعة الشاعر ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ م .

سرور : محمد جمال
- «الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القونين الأول والثاني بعد الهجرة» ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، بيروت - ١٩٦٤ م .

السمعاني : ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت : ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .
- «الأنساب» ثمانية اجزاء عني بتصحيحه والتعليق عليه ، الشيخ

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٢ - ١٩٧٧ م .

السيوطي : عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد (ت - ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .

شعبان : محمد عبد الحمي - شعبان

- «الثورة العباسية» ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي ، دار الدراسات الخليجية ، ابو ظبي ، ١٩٧٧ م .

الصابي : غرس النعمة ابي الحسن محمد بن هلال (ت : ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) .

- «الهفوات النادرة» تحقيق ، صالح الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ط ١ ، دمشق ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

الصيني : بدر الدين محي

- «العلاقات بين العرب والصين» ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م) .

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .

- «تاريخ الرسل والملوك» ، عشرة اجزاء ، ط ٤ ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم مطابع دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٧ م - ١٩٦٩ م .

طه : عبد الواحد ذنون

- «الحجاج بن يوسف الثقفي» ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، قدمت الى جامعة بغداد .

- «الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والأندلس»

منشـورات وزارة الثقـافـة والاعـلام ، دار الـرشيـد ، بغـداد ، ١٩٨٥ م .
عبـد الملك بـن حسـين بـن عبـد الملك العـصـامي (ت : ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) .
- «سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي» ، المطبعة السلفية ، القاهرة - ١٣٨٠ هـ .
العبود : نافع توفيق .
- «آل المهلب بن ابي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري» ، مطبعة الجامعة ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٩ م .
العسكري : ابي هلال الحسن بن عبد الله (ت : ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .
- «الأوائـل» ، تحقيق ، محمد السيـد الوكيـل ، المـدينـة المنـورة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
العسلي : بسام العسلي
- «قتيبـة بن مسلم البـاهـلي» ، دار النفـائس ، ط ٤ ، بيـروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- «فن الحـرب» ، دار الفكـر ، ط ١ ، بيـروت ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
العلي : صالح احمد
- «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصـرة في القرن الأول الهجـري ، دار الـطليعـة للطبـاعـة والنشـر ، ط ٢ ، بيـروت - ١٩٦٩ م .
عماش : صالح مهدي

- «قتيبة بن مسلم الباهلي وحركات جيش المشرق الشمالي فيما وراء النهر» ، دار الحرية للطباعة ، بغداد - ١٩٧٨ م .

عمر : فاروق

- «النظم الاسلامية» مطابع دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر ، العين ، ١٩٨٣ م .

عون : عبد الرؤوف

- «الفن الحربي في صدر الاسلام» ، مطبعة دار المعارف ، مصر ١٩٦١ م .

ڤامبري : ارمينوس

- «تاريخ بخارى» ترجمة احمد محمود ، بيروت - لا . ت .

فلوتن : فان

- «السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية» ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ابراهيم ، مطبعة السعادة ، ط ١ ، مصر - ١٩٣٤ م .

فلهوزن : يوليوس

- «تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية» ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

القالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت : ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) .

- «الأمالي» ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، مصر ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمد .

- «آثار البلاد واخبار العباد» ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ /

١٩٦٠ م .

القيرواني : ابو اسحق ابراهيم بن علي المصري (ت : ٤٥٣ هـ / ١١٦١ م)

- «زهرة الآداب وثمرة الألباب» تحقيق ، علي محمد البجاوي ، طـ ١٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

كتابجي : زكريا

- «الترك في مؤلفات الجاحظ ، مطبعة الغريب ، دار الثقافة - بيروت ، ١٩٧٢ م .

المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) .

- «نسب عدنان وقحطان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .

المرزباني : محمد بن عمران بن موسى (ت : ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) .

- «معجم الشعراء» ، تحقيق ، كرنكو ، مكتبة القدسي ، القاهرة - ١٣٥٤ هـ .

المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

- «مروج الذهب ومعادن الجوهر» تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طـ ٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

مؤلف مجهول :

ـ «العيون والحدائق في اخبار الحقائق» ، الجزء الثالث ، تحقيق M . J . DEgoeje طبعة ليدن ، ١٨٧١ م نسخة مسحوبة بالأوفسيت .

النجار : محمد الطيب

ـ «الدولة الأموية في المشرق» ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

النرشخي : ابو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٢٨ هـ / ٩٢٩ م) .

ـ «تاريخ بخارى» ترجمة ، امين عبد المجيد بدوي ، ونصر الله فيشر الطرازي ، مطابع دار المعارف ، مصر ـ لا . ت .

الهرثمي : ابو سعيد الشعراني

ـ «مختصر سياسة الحروب» تحقيق ، عبد الروؤف عون ، مطبعة مصر ، ١٩٦٤ .

الهروي : علي بن ابي بكر (ت : ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) .

ـ «التذكرة الهروية في الحيل الحربية» ، تحقيق وطبع المرابط ، دمشق ، ١٩٧٢ .

الهمداني : ابو محمد احمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) .

ـ «صفة جزيرة العرب» ، مطبعة بريل ، لَيدن ، ١٩٦٨ .

وجدي : محمد فريد

ـ «دائرة معارف القرن العشرين» ، طـ ٧ ، بيروت ، ١٩٧١

اليافعي : ابو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) .

ـ «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة يعتبر من حوادث الزمان» ،

ط ٢ ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ .
ياقوت : شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٨١ م) .
ـ «معجم البلدان» ٦ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، لا . ت .
اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت : ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
ـ «التاريخ» ثلاثة اجزاء ، تحقيق ، محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨٤ هـ / ١٩١٤ م .
ـ «البلدان» ، ط ٣ ، النجف الاشرف ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .

ثانياً : المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

—— Caskel : Werner

Gamharat An — Nasah Das

Genealog ische Werk

HISAM IBN MUHAMAD

AL — KALBI — I Vols

Leiden , 1966 .

—— Gibb : H . A . R

The Arab Conquests In Central Asia

London , 1923

Shabon : M . A

—— Islamic History . 1 Vol

London . Newyork.

— K . V . Zettresteen , Kutaiba , Emncyelopaedia Of (Islam ,

Cleden , London — 1927) .

الفهرست

المقدمة ٥

الفصل الأول ٩

قتيبة بن مسلم الباهلي ....

الفصل الثاني ٢١

اجراءات قتيبة.. الادارية والمالية ....

الفصل الثالث ٤٥

قتيبة بن مسلم الباهلي ودوره في الفتوحات العربية الاسلامية

الفصل الرابع ١٠٥

جهود قتيبة في نشر الاسلام ....

الفصل الخامس ١٢٣

صفات القيادة لدى قتيبة ....

الخاتمة ١٥٧

قائمة المصادر والمراجع ١٦٢

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر.. ١,٧٥٠ دينار



بغداد ـ ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة